


محمد عبد القدوس

دار الشروق

# سيّدتي الجميلة

الغلاف: هاني صالح

الطبعـة الأولـى ٢٠١١

رقـــم الإيـــداع ٣٦٨٠/ ٢٠١١
ISBN 978-977-09-3006-9



٨ شـارع سيبويـه المصـري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكـس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)+
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

محمد عبد القدوس

# سيّدتي الجميلة



دار الشروق

## المحتويات

## الحب الإسلامي والغرام الراقي

إذا تحدثت عن العلاقة بين الرجل والمرأة من وجهة نظر ديننا نجد أن الحب الإسلامي أرقى أنواع الغرام ومختلف تمامًا عن العلاقات الغرامية التي نراها هذه الأيام بين آدم وحواء!

وكثيرًا ما نسمع في حياتنا هذه العبارة: «لا أستطيع أن أعيش بدون حب»! وهي عبارة تطلقها بعض النسوة بهدف إشباع شهواتهن، ويا أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك! والعاطفة النبيلة تحولت إلى كلمة ممسوخة أو أداة للانحلال والإفساد الأخلاقي... وترى الواحدة من هؤلاء تدخل في علاقات غرامية متعددة باسم الحب.. يعني قلبها مثل لوكاندة رخيصة يكثر فيها الداخلون والخارجون!

وقلب سيدتي الجميلة بالمفهوم الإسلامي مختلف.. إنه يشبه القصر أو على الأقل فندق سوبر ستار لا يمكن أن يدخله إنسان أي كلام، بل لا بد من مواصفات معينة في الذاهب إلى هناك..

ويلاحظ هنا ارتباط الحب بالزواج؛ فهما كالتوءم لا يستغني

أحدهما عن الآخر، فالعلاقات غير الشرعية بين حواء وآدم مرفوضة في ديننا.. ولذلك تجد الحب عندنا سمعته نظيفة، يمثّل أرقى أنواع الغرام بين الرجل والمرأة، والسبب أن له قواعد أخلاقية تحكمه ولا يقوم على الهوى والمزاج كما نرى في الأفلام العربي! أو الحب الأمريكاني أو بالمفهوم الأوروبي!

والأمر الثاني الذي يتميز به هذا الحب الإسلامي ويجعله يفوز على غيره أنه حب عملي، أما العشق بالعقلية الغربية فتراه قائمًا على حلو الكلام والقبلات والإشباع الجنسي! لكن المتدينة التي تحب بيتها وزوجها عندنا تعمل على خدمة أهل بيتها ويتقدم ذلك على أي شيء آخر في حياتها.

وصدق من قال في هذا المقام: «المنزل مملكة المرأة» وهذه العبارة صحيحة تمامًا بالمفهوم الإسلامي للحب، لكنها غريبة على عقلية الغرب حيث تقول المرأة للرجل هناك: «أنا زيّي زيّك!». وديننا الذي يؤمن بالمساواة يرى مع ذلك أن هناك فوارق أساسية بين الجنسين.. يكفي مثلًا أن المرأة لها وظيفة عظيمة جدًّا في الدنيا وهي الأمومة، فكيف تكون حواء نسخة من آدم؟ وأعجبني «ابن عباس» وهو من كبار الصحابة الذي قال: «إني أتزين لامرأتي كما تتزين لي».. يريد أن يسعدها ويشبع رغباتها، ودافعه إلى ذلك إسلامنا الجميل الذي يحث أتباعه على الغرام الراقي.

وصدق نبي الإسلام الذي قال: «خيركم... خيركم لأهله.. وأنا خيركم لأهلي».

## الإيمان والغرام

قد تتعجب حضرتك من عنواني هذا، وتتساءل: ما دخل هذا بذاك، واحد يسمو بالإنسان والثاني يخسف به الأرض إن لم يحسن الاختيار. ولهذا السبب بالذات ربطت الشامي بالمغربي! فأنت إذا كنت مؤمنًا بالله حقًّا فستحسن اختيار شريك حياتك!

وقبل شرح وجهة نظري أقول لك: إن الغرام أصبح كلمة مبتذلة وسيئة السمعة! وشيء عادي في حياتنا أن تجد المرأة المنحلة تكثر الحديث عن الغرام والهيام وسهر الليالي ودقات القلب!! وكله كلام في كلام، وإذا جئت إلى واقعها تجد الأمر مختلفًا تمامًا. فهؤلاء النسوة الثرثارات في الغرام تجد العديد منهن مطلقات! ولها تجارب فاشلة في الحب مع أنها أستاذة في الكلام! بل إن كلامهن هذا يستخدم للتغطية على الانحلال وقلة الحيا!! فهي بحد تعبيرها لا تستطيع أن تعيش بدون قلب!! وأنت لم تخطئ إذا نظرت لها بريبة واتهمتها في سلوكها، وصدق من قال: «يا أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك».

والفتاة المتدينة عكس الأولى على طول الخط، فهي ليست أستاذة في الكلام، لكنها تستحق عشرة على عشرة لتفانيها في خدمة زوجها وأبنائها.. تمثل سيدتي الجميلة بحق وتستحق تعظيم سلام، فهي نموذج للغرام الحقيقي الذي يطمئن إليه القلب وليس «الفالصو» الذي يثير الشك.. قلبها لا يدق إلا لشريك حياتها، وليست كالمرأة المنحلة التي قلبها مثل فندق يكثر فيه الزبائن!

وكله باسم الغرام! الأولى عاطفتها زي قصر شامخ لا يصل إليه إلا فارس على حصان أبيض! أما الأخرى البعيدة عن تعاليم السماء، فليس عندها حصون ولا خطوط دفاع! فهي سهلة لأي واحد ذئب يدخل مزاجها!

وباختصار عايز أقول: «الإيمان هو حصن الغرام الحقيقي وحافظه وراعيه».. فهل توافقني على ذلك؟

## تستحق أن تشكرها

طائفة واسعة من نساء مصر لا صلة لهن بالأضواء ولا تراهن في أجهزة الإعلام، وإذا كان حظك الحلو قد أوقعك في واحدة منهن، فمن حقها عليك أن تقوم بتقبيل يدها قائلًا: شكرًا لك على أدائك الرائع في شهر رمضان.

تحدثت من قبل عن الحب عند المرأة الملتزمة المتدينة، قلت إن مفهومها له يختلف عن ذلك الذي تعرفه نساء الغرب، حيث تكثر فيه الثرثرة وكثيرا ما يستغل وسيلة للانحلال!! والحب عند البنات المؤمنات عمل تلمسه وترى آثاره في حياتك بعيدا عن الكلام والجمل الإنشائية الفخمة!!

وفي رمضان رأينا ذلك بصورة واضحة. كانت سيدتي التي تعرف ربها نموذجًا رائعا في خدمة بيتها فرغم صيامها تخدم زوجها وأولادها من منطلق الحب، وقد تكون امرأة عاملة لكن أسرتها لها المنزلة الأولى عندها، أما العمل فيحتل مرتبة ثانوية. وعندما تعود إلى بيتها بعد انتهاء ساعات العمل فليس من حقها أن تستريح

رغم أنها متعبة والدنيا صيام بل تراها تقوم بإعداد الطعام بنفسها، والإشراف على الأولاد. فميزانية البيت لا تسمح بوجود مربية أجنبية! أو حتى طباخ! فكل شيء موكل إليها وحدها، ويتضاعف العبء إذا كان هناك ضيوف من الأهل والأصدقاء.

وهذه الخدمة الشاقة من وجهة نظرها لذيذة وهي لا تفعل ذلك من منطلق أنها خادمة عند سي السيد!! لكن لأنها تحب على الطريقة الإسلامية.. وأرجوك أن تقارن بين الحب بهذا المعنى وما يقال عن العشق بالمفهوم الأوروبي والأمريكاني فالفارق شاسع بينهما، وستخرج من تلك المقارنة بنتيجة مفادها أن حب الملتزمات أرقى أنواع الغرام.

# النساء ورأس السنة

في وداع السنة المنصرمة واستقبال العام الجديد تجد النساء ببلادنا أشكالًا وألوانًا تجاه تلك المناسبة. هناك بنات يفضلن اللهو ويرونها مناسبة للفرفشة!! وترى الفنادق الفخمة وأماكن التسلية فيها هذا الصنف من الناس رجالا ونساء ورغم أن هؤلاء يشكلون نسبة معتبرة من بني آدم، إلا أنهم لا يقارنون بأنصار حزب السرير في هذا اليوم!! زوجات وأمهات وبنات يتعاملن مع رأس السنة كأي يوم عادي، فلا يتغير نظام حياتهن بحجة وداع عام واستقبال آخر! «الرجالة» يمكثون في بيوتهم بهدوء ومعهم نساؤهم، وهكذا يستقبلون السنة الجديدة دون ضجيج ولا احتفالية خاصة! وترى أسرًا مصرية تفضل أن تكون تلك المناسبة فرصة لجمع شمل العائلة والأصدقاء بعيدًا عن السهرات الصاخبة والليالي الملاح!

يعني البنت في هذه الحالة لا تخرج إلى الأماكن العامة، بل تستقبل العام الجديد مع أهلها. وإذا وصفتها بأنها فتاة محافظة! قلت لك: وماله؟ وغير معقول أن يكون اللهو من مواصفات البنت

المصرية! أو الفتاة المودرن!! وسيدتي التي تعيش عصرها لها شروط أخرى ليس من بينها تقليد الغرب أو الذهاب إلى الحفلات الراقصة!

ويعجبني جدًّا من تقوم بوداع العام المنصرم على الطريقة الإسلامية!! يعني وقفة مع النفس واستعراض ما فات في تلك السنة، وماذا فعلت في حياتها؟ تضع الإيجابيات والسلبيات أمام عينيها، وتقوم بإجراء مقارنة بينهما.

وصدق من قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم»..

واستقبال عام جديد فرصة مناسبة لمواجهة النفس..

## امرأة كاملة

في يقيني أن قرار الرئيس مبارك الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح في ٧ يناير أمر صائب يستحق الإشادة.. بعد أن جعله عطلة رسمية مثل بقية الأعياد في الدولة.. وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجده يتكون من ١١٤ سورة العديد منها تسمى بأسماء الأنبياء الكرام، وواحدة منها لها وضع خاص جدا، فهي الوحيدة التي عليها اسم خيرة نساء العالمين وهي السيدة مريم ابنة عمران.

ولا توجد امرأة من جنس حواء احتفل بها كتاب المسلمين مثل والدة السيد المسيح حيث ورد اسمها ٣٤ مرة وتحدث عنها بالتفصيل في العديد من السور الكبرى مكية ومدنية مثل آل عمران والمائدة ومريم وغيرها.. ويعني ذلك أن الاحتفال بها بدأ منذ الأيام الأولى للدعوة في مكة المكرمة.

ولفت نظري ما جاء في السورة رقم ٦٦ من القرآن في ختام الجزء الثامن والعشرين منه اسمها «التحريم»... ومن فضلك اقرأ معي ما جاء في آخر تلك السورة الكريمة: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾.

ويلاحظ أمور ثلاثة بمقتضى تلك الكلمات الربانية.. أنها نموذج متكامل للأخلاق، وفيها نفخة إلهية، فهي تتميز بالطبع عن سيدتي الجميلة.. كما أن إسلامنا الجميل ضرب بها مثلا للذين آمنوا، وهذا مذكور في الآيات التي قبلها وشاركها في هذا الشرف امرأة فرعون.. ومن مواصفات سيدتي الجميلة أنها لا تعرف التعصب، فالمسلمة ستحرص على الاتصال بصديقتها من الأقباط للتهنئة، وسيدتي الجميلة القبطية ستضع في اعتبارها الاتصال بالمسلمات المقربات منها لتقول: «كل سنة وأنتم طيبون» التدين الحق يعني أن تكون علاقتك حلوة مع الجميع ما داموا يحترمون دينك.

## المساواة في الحج

في فريضة الحج تتضح العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة التي ينبغي أن تحكم المجتمع. وأول ما يلاحظ المساواة بين بنات حواء وأبناء آدم... فالمناسك الإلهية في كل الفرائض الإسلامية لا تفرق أبدًا بين الجنسين! ولم يقل أحد أبدًا إن الرجل يطوف سبعة أشواط حول الكعبة والمرأة خمسة فقط مراعاة لتكوينها الرقيق وحتى لا تتعب!! وذلك الأمر ينطبق على السعي بين الصفا والمروة وغير ذلك من المناسك التي يجب تأديتها. واللافت للنظر ثانيًا تواجد النساء والرجال في مكان واحد بالمسجد الحرام وكذلك المسجد النبوي.. فإسلامنا الجميل يرفض هذا الفصل بينهما، وفي نفس الوقت لا يقبل الخلط على طريقة سداح مداح بلا أي ضابط أو رابط، بل قوامه الاحترام وأن يعرف كل إنسان حدوده، ومنذ أيام سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام كان هناك باب مخصص للنساء بالمسجد النبوي للدخول منه والصلاة في مكان خاص بهن. وفي عصور التخلف والانحطاط رأينا منع المرأة من الخروج ولو إلى الذهاب للجامع!! وتحول الاختلاط

المحترم إلى منع تام، فلا يراها أحد من الرجال الغرباء! ولا يجوز لها أن تذهب إلى الأسواق! وبالطبع عملها من سابع المحرمات! ومهمتها في الدنيا إنجاب الأبناء ـ الأولاد خاصة- وخدمة سيدها الرجل المتمثل في بعلها!! وبالطبع كل هذا بعيد جدًّا عن تعاليم إسلامنا الجميل. إنما يمثل عقلية الرجل الشرقي!

ويلاحظ ثالثًا أنها تؤدي فريضة الحج وهي كاشفة عن وجهها وهكذا في بقية فرائض الإسلام.. فلا يجوز مثلًا أن تصلي وهي منتقبة!!

وهذا يهدم ما ذهب إليه أهل التشدد من أن كشف المرأة لوجهها حرام وعيب! أقول لكل واحد من هؤلاء المتنطعين: «يا شيخ حرام عليك! وكفاية إساءة لديننا».

## سيدتي المحجبة

بعد عودتها من الحج كانت أول ما فعلته الالتزام بالحجاب! لكن بعد فترة شعرت «بالزهق»! فهو عبء ثقيل على رأسها على حد تعبيرها!! وتقول إنها تسرعت في ارتدائه من منطلق عاطفي وأنها تفكر جديًا في خلعه، لكنها تخاف من عقاب ربنا. هذه الصورة رأيتها العام الماضي، ولم أتابعها! فلا أدري: «هل عادت ريما إلى عادتها القديمة»؟ أم أنها نجحت في مقاومة إغراءات الشيطان التي تعصف بها؟

وهذه الصورة ليست بالأمر الشاذ، بل إنها متكررة في مجتمعنا. ولا يتمثل الحل في إنزال اللعنات على هؤلاء واتهام الفتاة التي تخلع حجابها بأنها منحلة!! فهذه العقلية بالتأكيد ستزيدها بعدًا عن الإسلام!

الداعية الصحيح هو الذي يأخذ بيدها ويشرح لها نظرة إسلامنا الجميل إلى الزي الشرعي.

وبعض البنات يقعن في خطأ كبير عند الالتزام، فالحجاب

عندهن مجرد طرحة على الرأس!! أو «إيشارب» بالتعبير الأجنبي غرضه الحصول على رضا ربنا، وذلك بالالتزام بتعاليمه! فالإسلام كله عند الواحدة من هؤلاء يتمثل في الحجاب فقط! فهي لا تعطي الاهتمام المطلوب في ذات الوقت للارتقاء بسلوكياتها وتحسين معاملتها مع الناس ومزيد من الإقبال على العبادة لتكون في النهاية صورة حلوة للإسلام وتستحق لقب سيدتي الجميلة.. إنها إذا اهتمت بتطبيق تعاليم ديننا في حياتها قدر الإمكان فستشعر في هذه الحالة بالفخر وهي ترتدي الحجاب ويكون عندها بمثابة عباءة وتدعو صديقاتها إليه بأخلاقياتها الجميلة وليس بالمواعظ! وتركيز الاهتمام على الزي الشرعي وحده يجعله يتحول في النهاية إلى مجرد عادة ويفقده معنى العبادة فتشعر بالزهق منه!!

## محجبات عاشقات!

من الظواهر الاجتماعية غير المفهومة في بلادنا: المحجبات العاشقات!!

إذا ذهبت إلى الأماكن الخلاوية على شاطئ النيل بالقاهرة فستجد أولادًا وبناتٍ في أوضاع غرامية وكثير منهن محجبات!!

وذات الأمر تجده بالجامعة أيضا مع أنها مكان للعلم وليست مكانًا للغرام! وكل علامات الاستفهام أطرحها هنا: «طيب ليه»؟ وإزاي؟ وكيف تكون الفتاة ملتزمة بالزي الشرعي وقليلة الحياء؟؟ صحيح أن هناك بناتٍ ملتزمات وزي الفل وصورة منورة للإسلام وتمثل سيدتي الجميلة أفضل تمثيل، ولكن هناك قلة هي التي أعنيها ومحور حديثي، وتبدو شاذة وسط الجموع الطيبة لبنات مصر! وكل شذوذ بالضرورة يثير انتباهًا لأنه يبدو غريبًا على المجتمع.

وهناك أسباب للمحجبات العاشقات يمكن تلخيصها في أمور ثلاثة: أولها، إن الفتاة ليس عندها نية للالتزام، لكنها ارتدت الحجاب من باب التوفير بديلًا عن العناية المستمرة بشعرها!!

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»! إنها لا تفكر أصلا بالتقرب من الله ولا تتطلع إلى ثوابه! وما تضعه على رأسها مجرد طرحة!!

وهناك سبب آخر يتمثل في أنها قد ارتدته رغمًا عنها تحت ضغط أسرتها، فهي قد أخذت بالمظهر، لكن سلوكها لا يعرف العيب! واكتفى أهلها بأن تكون ابنتهم محجبة ولم يبذلوا ذات الجهد في تقويم أخلاقها، وقد يكون لسانها زي المبرد أو تعامل الناس بطريقة سيئة، لكن هذا لا يهمهم في شيء! المهم أنها محجبة!

وأخيرًا فإن هناك نوعًا من البنات تجد الواحدة منهن بتحب ربنا ولكن سلوكها يحتاج إلى ضبط وربط فهي بنت عفريتة وشقية وتجري وراء نزواتها!! ويا رب تهديها!

## حقوق سياسية

إسلامنا الجميل له موقف وسط ومعقول إزاء نظرته للحقوق السياسية لسيدتي، وهكذا تراه دومًا في تناوله لشئون الدنيا، يعتمد على الوسطية والفطرة الإنسانية ويرفض التطرف بأنواعه!

وهناك من لا يعترف بحق المرأة في الترشيح والانتخاب، فهي ليست مؤهلة لذلك بحكم تكوينها! وأقول لك على الفور: «يا شيخ حرام عليك! وعيب عليك أن تنسب هذا الرأي إلى الدين»!

وعلى العكس نجد في الطرف الآخر من يتباكى لأن عدد النساء في البرلمان قليل، ويطالب بالمساواة الكاملة بين الجنسين في الحياة السياسية.

وإسلامنا الجميل يرفض التفرقة بين أبناء آدم وبنات حواء، لكنه يرى أن الرجالة «أشطر» في المجال السياسي، ومن الطبيعي أن تكون لهم الريادة، فإذا أثبتت المرأة شطارتها فأهلا وسهلا.

ولم أتعجب وأنا أرى الغالبية العظمى من أعضاء مجلس الشعب ببلادنا من الجنس الخشن! فتمثيل الناس في البرلمان وظيفة صعبة

جدًّا إذا أراد النائب تأدية واجبه بشرف وضمير ومفترض منه أن يكون في خدمة أهل دائرته ليلًا ونهارًا فضلًا عن واجبه الأول في الرقابة على الحكومة، ولذلك كانت النساء أقلية على الدوام بالمجال السياسي، وهذا ما نراه حتى في أعرق الدول الديموقراطية ببلاد أوروبا وأمريكا، وحتى هذه اللحظة لم تصل المرأة إلى حكم البيت الأبيض في واشنطون ولا إلى رئاسة الدولة في فرنسا رغم أن «باريس» مشهورة بانحيازها للنساء! وعندما وصلت «مارجريت تاتشر» إلى الحكم بإنجلترا اعتبروها معجزة، وأطلقوا عليها لقب المرأة الحديدية!

وإسلامنا الجميل يؤكد أن المساواة بين الجنسين لا تعني أبدًا إلغاء الفوارق بينهما! وفي يقيني أن المرأة المسترجلة أبعد ما تكون عن سيدتي الجميلة، فإذا تزوجها رجل «فذنبه على جنبه»!!

## من أدوار سيدتي الجميلة

حرية الرأي لا تعني أبدًا التطاول على الأنبياء.. وغير معقول مثلًا أن يتطاول أحد على السيد المسيح باسم أن الصحافة حرة! وحرية الإنسان لها حدود وتتمثل في عدم الإساءة إلى الآخرين! ولذلك فإن الصحيفة الدانماركية ومن سار على شاكلتها في الإساءة إلى نبي الإسلام قد أساءت أولًا إلى المجتمع المدني قبل أن تسيء لرمز المسلمين.

وسيدتي الجميلة لها دور أساسي في رد الصاع صاعين، فهي التي تشتري ما يلزم بيتها وصدق من قال: «رب ضارة نافعة».. فهذه فرصة ذهبية لتشجيع شراء المنتجات الوطنية بعيدًا عن البضائع الأوروبية والأمريكية وليس فقط تلك القادمة من بلاد الدانمارك.

ومن ناحية أخرى أعجبني حرص العديد من الفتيات على المشاركة في التظاهرات السلمية التي شهدتها القاهرة بعيدًا عن أعمال العنف! وبالمناسبة فإن الاعتداء على بعض السفارات التي تطاولت بلادها على نبينا ليس من الإسلام في شيء! ولا يمكن تبرير

ذلك بالغيرة على الدين! وإذا كان أهل أوروبا المتعصبون قد اعتدوا علينا من خلال صحفهم وأقلامهم فيجب أن نرد عدوانهم ولكن بغير أساليبهم! فإذا سرنا على ذات منهجهم وقمنا بالاعتداء عليهم فلم يعد هناك فارق يذكر بين أخلاق المؤمنين وأولئك المتطرفين من الخواجات.

وفي يقيني أن المقاطعة الاقتصادية لهؤلاء المعتدين تؤدي بهم إلى خسائر فادحة وكساد بضاعتهم، خاصة أن الشرق الأوسط منطقة حيوية من العالم وفي غاية الأهمية للاقتصاد العالمي، وكل مسيحية ومسلمة تشارك في تلك المقاطعة تستحق لقب سيدتي الجميلة، وتؤكد أن الوحدة الوطنية بخير في بلادنا من الواقع العملي وليس الكلام.

# سيدتي الجميلة أكثر تدينًا

مفاجأة أقدمها للقارئ خاصة الصبايا وبنات حواء!

العالم الإسلامي فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي قال:

إنه بعد عمل امتد لأكثر من نصف قرن في ميدان الدعوة، فإنه يستطيع أن يقول وهو مستريح إن المرأة أكثر تدينًا من الرجل!

وأنا شخصيًّا فوجئت بهذا القول، وكذلك أنت!! سألته عن هذا الأمر والأدلة التي استند إليها في قوله، فرد قائلًا: «لاحظت خلال هذه السنوات الطويلة من عملي أن رسائل السيدات والفتيات أكثر وأغزر من خطابات الفتيان، وحرصهن على التدين أكبر، وخوفهن من سوء الحساب أقوى، وهذا ما دفعني إلى القول إن المرأة ـ في الجملة ـ أكثر اهتمامًا بدينها وتمسكا بربها من الرجل».

وأضاف قائلًا: «هذا الأمر جعلني أتفاءل بمستقبل ديننا، فالغزو الحضاري الغربي بذل المستحيل لإيجاد جفوة بين المرأة المسلمة وتعاليم الإسلام!! ومع ذلك لم تفقد تلك المرأة عاطفتها الدينية ولا عقيدتها الإسلامية».

ويدلل شيخنا الجليل على صحة كلامه قائلًا: «كثير من الفتيات اللاتي يلبسن الملابس العصرية أو ما يمكن تسميتهن بالبنات «المودرن» حريصات إلى أبعد الحدود على الصلاة والصيام والحج والعمرة والقيام بسائر أركان الإسلام.. ماذا يعني كل هذا؟ الإجابة: إنه دليل على بذور التربية في قلوب الفتيات اللائي يبدو لأول وهلة أنهن لا صلة لهن بالدين.. هذه البذور ما زالت حية وفيها خير كثير، والتعهد والرعاية لها خليق بأن يجعلها تنبت وتترعرع ثم تزهر وتثمر».

والحقيقة أن قوله الأخير أعجبني ودل على سعة أفقه فالداعية المتشدد يلقي عليهن بشتى أنواع التهم من الفسق والفجور! لكن شيخنا الجليل يعمل على الأخذ بأيديهن وذلك بتنمية جوانب الخير فيهن، وهذا هو الفارق بين إسلامنا الجميل وغيره.

## سيدتي الجميلة والمناصب العامة

الإسلام رفع سيدتي الجميلة مقامًا عاليًا وقام بمساواتها مع الرجل وإخراجها من الظلمات إلى النور... والمؤسف أن المتشددين أساءوا إليها، والمؤكد أنهم بذلك قاموا بتشويه صورة الإسلام كله.

وأذكر لك مثالًا على هذا التشدد.. جاء في الحديث النبوي الشريف: «خاب قوم ولوا أمرهم امرأة». وقال العلماء إن هذا الكلام جاء في سياق واقعة معينة لا يتعداها، وليست حكمًا عامًا، لكن أصحاب العقول الضعيفة انتهزوها فرصة للصيد في الماء العكر!! وقالوا إن النساء لا يصلحن لتولي مناصب عامة! فإذا حدث ذلك فترى خراب الديار على أيدي بنات حواء!

ووقائع التاريخ تكذب هذا الإدعاء!! ففي القرن التاسع عشر بلغت الإمبراطورية البريطانية أوج مجدها في عهد الملكة فيكتوريا التي استمرت على عرش إمبراطوريتها مدة تزيد عن نصف قرن! ثم رأينا في القرن العشرين رئيسة الوزراء «مارجريت تاتشر» الذين

أطلقوا عليها لقب المرأة الحديدية تفوز في الانتخابات العامة ثلاث مرات والسبب أنها قدمت خدمات جليلة للإنجليز، فردوا لها الجميل بانتخابها أكثر من مرة! واندیرا غاندي حكمت بلاد الهند بمهارة، والتف الشعب حولها بعدما أثبتت جدارتها وانطبق عليها المثل القائل بنت الوز عوام، فهي ابنة الزعيم الهندي العظيم «نهرو».

وفي بلاد الإسلام رأينا ميجاواتي سوكارنو تنقذ بلادها إندونيسيا من حرب أهلية مؤكدة عقب سقوط الديكتاتورية العسكرية، وقد سقطت بعد ذلك في انتخابات حرة شهدت منافسة شديدة على منصب الرئاسة.

وكانت سابقة في بلاد المسلمين فسقوطها فوز للديموقراطية وشرف لها.

والقرآن الكريم ذاته أشاد بملكة سبأ، ولا يمكن أن يكون هناك تناقض بين كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة.

# نصير سيدتي الجميلة

في مارس ٢٠٠٦ احتفلت نقابة الصحفيين بمرور عشر سنوات على وفاة إمام عصره الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، وكانت دعوته التي استمرت ما يقرب من نصف قرن كبيرة في شد أزر المجتمع المدني في وجه أنصار التشدد من ناحية، ودعاة الانحلال من جهة أخرى!! ورأيته نصيرًا دومًا لسيدتي الجميلة ضد أولئك الذين يريدون أن تكون المرأة درجة ثانية مقارنة بسيدها الرجل، ومهمتها في الدنيا متعة بعلها ـ يعني زوجها ـ وخدمة حضرته!! ورعاية أولادها وسماع الكلام!!

وفي مقابلة هؤلاء تصدى الشيخ الراحل بقوة لفكر آخر قادم من بلاد الغرب يلغي أية فوارق بين الرجل والمرأة! ويقوم على شعار «أنا زيي زيك»!! فهي تنطلق مثلًا إلى مجالات العمل مثل أي رجل! والمنزل مسئولية مشتركة بين الزوجين!!

ومدرسة إسلامنا الجميل تتميز بأنها تقوم على الوسطية والفطرة الإنسانية السليمة، والمساواة بين آدم وحواء لا تعني أن نشهد المرأة

المسترجلة! وإلغاء أية فوارق بينهما في الحقوق والواجبات، فهذا قمة التطرف العلماني الذي نشأ كرد فعل لعقلية الجواري!

والفكر السليم الذي يقوم على تلبية أذواق الناس والتعبير عن مشاعرهم وفطرتهم وليس احتجاجًا على فكر مضاد! وأنت إذا سألت أي امرأة في الدنيا فستقول: ابني رقم واحد في حياتي. وأولادي يمثلون المرتبة الأولى عندي! ومن المستحيل أن تضحي برعايتهم من أجل أن تتقدم في عملها!! ومن ناحية أخرى فتعبير: «المنزل مملكة المرأة» أراه وليد فطرة إنسانية سليمة. فهو ليس من ابتكار المتدينين! وخلاصة الكلام إن ما نادى به الإمام الراحل في مناصرة المرأة مستمد من إسلامنا الجميل وقوامه تحقيق المساواة بين آدم وحواء، ولكن المرأة تختلف عنه في الحقوق والواجبات، ولها مهام في الدنيا غير مهمة الرجل وأجمل لحن موسيقي تسمعه سيدتي في حياتها كلمة «ماما» التي يناديها بها ابنها.. واسألوا أي امرأة في الدنيا لتتأكدوا من ذلك.

## قوامة حنان ومودة وحب

قوامة الرجال على النساء حقيقة قرآنية جاءت في الآية رقم ٣٤ من سورة النساء، وتتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة.

وقبل أن أشرح ما أعنيه أقول إن هناك تصورًا خاطئًا لهذا الكلام الرباني: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.. فالملتزمون يطلبون من النساء الطاعة المطلقة باسم ما جاء في القرآن، فليس لها صوت ولا حس إلى جانب سيدها الرجل المتحكم في أمرها!!

ومن ناحية أخري نجد المعجبين بالحضارة الغربية يرفضون هذا الأمر من أساسه بزعم أن قوامة الرجال تتنافى مع المساواة المطلوبة بين الرجل والمرأة!!

وكل هذه الآراء أراها شاذة سواء تمثلت في عقلية الرجل الشرقي أو في التطرف العلماني القادم من الغرب. والمؤكد أن الطبائع الإنسانية السليمة منحازة إلى إسلامنا الجميل ووجهة نظره في هذا الأمر.. ولا يوجد زوج في الدنيا يحب وجع الدماغ داخل بيته من امرأة متمردة تفعل ما يحلو لها دون مراعاة لمشاعر زوجها!

والقوامة التي أكد عليها ديننا تقول إن الكلمة الأولى للرجل المسئول وهو ملزم بالإنفاق على أسرته ولو كانت امرأته تعمل والمثل الشعبي يقول: «المركب اللي فيها ريسين تغرق».

وفي كل مكان لا بد أن تجد مسئولًا عن إدارته وإلا تحول الأمر إلى فوضى! وغير معقول أن ترتبط المسئولية بالديكتاتورية! فلا يقول ذلك إنسان عاقل! «وحضرتك» يمكنك أن تكون مسئولًا وفي ذات الوقت في منتهى الديموقراطية..

وعندما يكون الرجل مسئولا داخل بيته فلا يعني ذلك أبدا أن يكون مستبدا، بل فقط له الكلمة الأولى بمساندة من شريكة العمر داخل الأسرة.. والقوامة بهذا المعنى تتفق مع الفطرة الإنسانية لسيدتي الجميلة فهي بطبعها تكره الرجل الضعيف «الهايف» وتحب القوي بشرط أن يسكن قلبه الحنان والمودة والحب.. وهذا بالضبط ما يعنيه إسلامنا الجميل عندما قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.وقد صدق.

## شكرًا لنبي الإسلام!

ربيع الأول له وضع خاص، فهو الشهر الذي شهد ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه أيضًا كانت هجرته، وقد توفي في هذا الشهر أيضًا.

وحواء وآدم كل منهما مدين بالشكر لنبي الإسلام، وأبدأ بما يجمع بين الرجل وسيدتي الجميلة وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى.. وكان سيدنا النبي هو السبب في معرفتنا بخالقنا حق معرفته والمفاجأة المذهلة التي أقولها إن مشركي الجزيرة العربية كانوا يعرفون ربنا، لكنهم كانوا يصرون على أن عبادة الأصنام هي الطريق للوصول لرب العالمين.. ولذلك أسماهم كتاب الله بالمشركين أي الذين يشركون مع الله إلهًا آخر.. وإذا أردت أن تتأكد من صدق قولي فاقرأ القرآن الكريم وهناك آيات عديدة تؤكد ذلك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥). ومثل تلك الآية الكريمة تتكرر كثيرا، وجاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليطرد

تلك الخرافات، ويتصدى للمشركين مؤكدًا على حقيقة الله الواحد الفرد الصمد..

وهؤلاء العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام بحجة أنه الطريق للوصول إلى الله لم يكن وضعهم شاذًا بين العالمين، فالأمر لم يكن مختلفا كثيرا عن بقية الشعوب، فهناك من كان يعبد النار، وكنت ترى آخرين يعبدون الشمس والكواكب السيارة! ومنهم من اتخذ من البقرة معبودته وما زال! وبنو إسرائيل نظروا إلى الله وكأنه يخصهم وحدهم وأستغفر الله! ونسبة من كانوا يرفضون الله كلية ولا يعترفون بوجوده كانت ضئيلة جدًّا. والغالبية العظمى كانت تقول إن الله موجود لكنهم ضلوا وأضلوا في الوصول إليه! ونبينا الكريم صاحب فضل في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فشكرًا له.. خاصة أن هذا الإيمان الصحيح بربنا عند المسلمين انعكس في تغيير نظرته كلية إلى المرأة.

## زوج مثالي

سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام كان زوجًا مثاليًا بكل المقاييس.. وهذه الحقيقة لها شروط ومواصفات تنطبق كلها على نبينا الكريم وصدق وهو يقول: «خيركم.. خيركم لأهله» أي لأسرته.

وأول صفة في الزواج الناجح حسن اختيار شريك العمر، وكل امرأة دخلت البيت النبوي كرفيقة عمر كانت منتقاة.. واختارها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بناء على مواصفات معينة واختلفت من زوجة إلى أخرى.

والبيت السعيد من مواصفاته أن يعطي الزوج لأسرته حقها، فلا تأخذه مشاغله بعيدًا عنها! ونبي الإسلام كان مشغولًا جدًّا في نشر الدعوة وبناء دولته.

ومع ذلك لم ينس بيته، وأكدت سيرته أنه كان يقوم ببعض الواجبات المنزلية في خدمة أهله، مع العلم أن الغالبية العظمى من الأزواج المعاصرين ليسوا كذلك، فالرجل الناجح في عمله لا يجد وقتًا لعائلته والزوجة تتحمل وحدها أعباء منزلها وهي

عادة تفعل ذلك ولو لم يكن زوجها مشغولًا! فهو يستنكف أن يقوم بعمل منزلي ويرى أن ذلك مسئولية امرأته لكن نبينا الكريم كان مختلفًا!

وإذا وجدت مسئولًا كبيرًا يداعب زوجته ويلعب معها في منزله فاعلم أنك أمام إنسان فريد من نوعه!!

فالمسئولية الثقيلة تلقي بظلالها على صاحبها، لكن سيدنا النبي قدوتنا حتى في المرح واللهو مع أزواجه! فتجد في السيرة النبوية أنه كان يلاعب زوجته عائشة ونالت الكثير من الدلع على يديه! وعندما خاصمها بسبب حديث الإفك الشهير قبل أن تتأكد براءتها بعد ذلك، كان خصامه لها في منتهى الرقي: واكتفى بالهجر مع الاحتفاظ بالمودة: وهو الذي قال: «لا يضرب خياركم» يعني مش معقول إنسان فيه خير يضرب رفيقة عمره لأنه اختلف معها!!

## الإسلام سبقهم بألف سنة!

من أهم ما يتميز به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنه بشر عادي فتستطيع أن تقلده ويكون قدوتك.. فليس بالإنسان الخارق أو «السوبرمان» الذي يأتي بالمعجزات، بل مثلي ومثلك، لكنه بالطبع أفضل الناس خلقا ومكانة، فهو واحد منهم ويتميز بأنه يتقدمهم والمثل الأعلى للإنسانية. وهذا الأمر تطور أكيد في ارتقاء الإنسان الذي كان يؤمن بالمعجزات المادية، ويطالب كل من يأتي برسالة من السماء بخوارق تثبت صدقه!! وكفار قريش أنفسهم تبنوا هذا المنطق، واقرأ معي ما جاء في القرآن على لسانهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الفرقان: ٧، ٨).

يعني في النهاية اتهموه بالسحر! وواضح من كلامهم «أنهم غاضبون» لأن سيدنا النبي إنسان عادي!! فلا يستطيعون تصديقه!!

وعلى هذا التحدي قامت الرسالة المحمدية.. أن تؤمن بالإسلام بعقلك وقلبك فقط دون وجود معجزات من السماء!! وكانت هذه مهمة بالغة الصعوبة وسط قوم يريدون «سوبرمان»! لكن سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» نجح في جذب الناس إليه بتعاليمه التي كانت نقلة في حياة البشرية!

فمثلا كانت المرأة في الجاهلية مسحوقة تحت حذاء الرجل! وجاء إسلامنا الجميل ليرفعها مكانا عليًا.. ولأول مرة يعترف لها بذمة مالية مستقلة عن زوجها، وهذا الأمر لم تعرفه أوروبا وأمريكا إلا في القرن العشرين الميلادي.. فالإسلام سبقهم بألف سنة على الأقل، وما زالت المرأة في العديد من البلاد الأجنبية تلحق بمن تتزوجه فيقال: «مدام فلان»! بينما في ديننا تحتفظ باسم أسرتها فهي كيان مستقل ولها شخصيتها القائمة بذاتها.

## تدين فاسد

صرخة استغاثة من الإسكندرية.. ذهبت إلى الكنيسة كعادتها، وفوجئت بما لا تتوقعه أبدًا.. إنسان يهاجم المصلين وينهال عليهم ضربًا وطعنًا! والحمد لله أنها نجت بأعجوبة.. والمؤكد أن ما فعله لا يمت لإسلامنا الجميل بصلة، بل هو إنسان مريض نفسيًّا.. كما أكدت أمه.

أصابني الحزن والإحباط ولا أريد تكرار الشجب والاستنكار والإدانة وقد فقدت معناها وأصبحت غير ذات قيمة.. من كثرة تكرارها!!

لكنني أركز على أمرين لم يلتفت إليهما العديد من الناس.. أولهما أن الحملة الأوروبية ضد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لم تكن أبدًا حملة مسيحيين مخلصين ضد نبينا الكريم بل صادرة من أناس ملحدين سبق أن أساءوا من قبل إلى السيد المسيح نفسه باسم حرية التعبير!! وأهل الإيمان يرفضون الإساءة إلى نبي مرسل من السماء.. وهذا ما يتفق عليه الغالبية الساحقة من المسلمين

والمسيحيين.. فالأمر أذن لا صلة له بما يسمى بصراع الحضارات لأن كثيرًا من الخواجات سواء في أوروبا أو أمريكا يعرفون ربهم جيدًا وسبق أن أدانوا بكل قوة الإساءة إلى السيد المسيح وهم بالتأكيد لا يقبلون التطاول على رمز من الدين الإسلامي وهو سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثاني أكد عليه أستاذي وأستاذ جيل بكامله وهو الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ويتمثل في التحذير من التدين الفاسد ويراه شيخنا إنسانًا فاشلًا في حياته لجأ إلى الدين في محاولة لإنقاذ نفسه وكانت النتيجة أنه أساء إلى إسلامنا الجميل بعقليته وأفكاره ومثل هذه النوعية تراها متشددة جدًّا والمطلوب داعية شاطر لهذا الشخص يعالج آثار فشله أولًا لأنه السبيل الوحيد لفهم الدين بعد ذلك بطريقة صحيحة..

والالتزام على طريقة إسلامنا الجميل.

## باب الخدم

متفوقة في الدنيا.. شاطرة وذكية وصاحبة علاقات اجتماعية واسعة ولكنها للأسف بعيدة عن رب العالمين! وبقدرة قادر عرفت ربها واقتربت منه! وانطبق عليها الحديث الشريف الذي يقول: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام». فهي مكسب عظيم لديننا ودخلته من «باب السادة» لأنها قدوة.. وتأثيرها سيكون كبيرًا على أصدقائها المحيطين بها من حيث الإقبال على الله.

وهناك على العكس من ذلك من تدخل إلى الإسلام من «باب الخدم» ولا يمكن أن تقول عنها إنها تمثل سيدتي الجميلة بأي حال من الأحوال!!هذا نوع من النساء ينقسم إلى قسمين.. واحدة أصابتها صدمة في حياتها وفشل فلجأت إلى ربها وهذا أمر طيب، كان بإمكانها أن تنحرف أو تضيع لكنها استعانت بمن ينقذها وهو أمر مشكور لها، لكنها لجأت إلى الدين وفي قلبها جراح الحياة فأوضاعها غير طبيعية، فهي في هذه الحالة عبء على ديننا حتى يتم تضميد جراحها وتعود سوية! فالإسلام يقوم على الفطرة السليمة

وهي ليست كذلك!! وما دامت قد لجأت إلى رب العالمين فسيأخذ بيدها إلى بر الأمان.

والحالة الثانية أشد وأنكى وأكثر خطورة! إنها امرأة ناجحة ثم فشلت بعدما التزمت!! ويا لها من خيبة! زمان كانت مرحة، وبعد تدينها أصبحت ثقيلة الظل! في الماضي شهد المجتمع انطلاقها ونجاحها وعلاقتها المتنوعة مع الناس، لكنها خيبة أمل قوية بعدما دخلت الإسلام من باب الخدم! فانكمشت على نفسها. وترفض حتى مصافحة الرجال بحجة أن هذا الأمر مكروه!

وهي تعطي صورة سيئة للتدين المقترن بالتشدد والتزمت والتجهم! وعلاجها بالغ الصعوبة ويحتاج إلى معجزة!

وكان الله في عون من حولها.

## سيدتي العاملة

يحتفل العالم بعيد العمال كل عام، والمؤكد أن إسلامنا الجميل ينظر إلى شئون الدنيا بطريقة وسطية، فهو في العمل مثلًا يرفض رأي أهل التشدد الذين ينادون بحبس المرأة في منزلها ومهمتها الوحيدة في الدنيا تربية أولادها وخدمة سي السيد، أقصد زوجها أو بعلها!

ومن ناحية أخرى لا يرضى ديننا بمن ينادي بإلغاء كل الفوارق بين آدم وحواء!! وفي رأي هؤلاء أن بيتها يأتي في مرتبة ثانوية! وعملها في المقدمة! ولا يوجد شيء عندهم اسمه أعمال تليق بالمرأة! فهي تعمل في كل المجالات ولو كانت أشغالًا شاقة لا يصلح لها إلا الرجال الأقوياء!

وتذكرت بمناسبة هذا الرأي تلك المقولة التي تقول: الجنون فنون!! وإسلامنا الجميل قوامه الفطرة الإنسانية السليمة.. فطرة الله التي فطر الناس عليها! والأنثى السوية تقدم بيتها على أي شيء في الدنيا! وأولادها أحب إليها من أية مناصب رفيعة! ولا يعقل

أن تتركهم بين أيدي الشغالات لأن حضرتها تعمل ومش فاضية!!
وتصور معي طفلا صغيرا تتم نشأته بعيدا عن أمه العاملة كيف تكون أخلاقه؟؟

الأمومة أعظم وظيفة.. ومن مواصفات سيدتي الجميلة أنها تجمع بين بيتها وعملها، فهي تستحق في هذه الحالة عشرة على عشرة مع تعظيم سلام كمان.

# فرض عين

صدق أو لا تصدق.. أحيانا قد يكون عمل المرأة فرضًا عليها!! وقد تتساءل حضرتك وتضرب كفًّا على كف وتتساءل: «طيب إزاي يا عمنا»؟؟ أنت نفسك قلت إن «الأمومة ما فيش أجمل منها»، فكيف تأتي بعد ذلك لتقول: «في بعض الأحوال يكون من واجب سيدتي الجميلة أن تعمل».

وفقهاء المسلمين قاموا بتقسيم الواجب إلى فرضين.. فرض كفاية وفرض عين.. الأول يعني سد ثغرة في مكان معين.. وفي موضوعنا يتعلق الأمر بكل ما يخص النساء مثل التدريس للبنات ودكتورة نساء وكوافير للصبايا! وعيب أن يقوم الرجال بواجبات نسائية، والأفضل بالتأكيد أن تقوم طبيبة بالكشف على المرأة بدلًا من أن يتولى ذلك أحد الرجال!! وهل خلت الدنيا من متخصصة في الطب تقوم بعلاج سيدتي الجميلة؟؟ وذات الأمر ينطبق على التدريس للبنات.. وغير معقول أن تطلب من مدرس شاب القيام بتلك الوظيفة!! فالمفترض أن يقوم بهذا الأمر واحدة من بنات حواء

وظيفتها التعليم! وأغتاظ جدًّا عندما أرى رجلًا يقوم بتصفيف شعر سيدتي الجميلة! وتتراقص في ذهني كل علامات الاستفهام! وغير معقول أن يعجز المجتمع عن تخريج متخصصات في التجميل، وجعل سيدتي أكثر حلاوة وجمالًا!

وفرض العين يعني أن عملها مثل عبادتها بالضبط. فرض عليها مثل الصلاة والصوم! ولا يقبل منها شرعًا أن تتغيب عن عملها كدكتورة أو في مدرسة البنات لأن عندها درسًا دينيًّا!!

فعملها في هذه الحالة فرض عين عليها، بينما حضور الدروس الدينية مجرد أمر مستحب لا يمكن أن يكون مقدمًا على الواجب، وقد ذكرت من قبل في هذا المكان أن مواصفات سيدتي الجميلة القدرة على الجمع بين بيتها وأطفالها، وعملها! وهي تقوم بواجباتها بمنتهى الجدية، وبلا دلع رغم أن المرأة بطبيعتها دلوعة!!

## سيدتي الداعية

تجربة رائدة شهدتها المغرب ولم تلق الاهتمام اللازم مع أنها تمثل انتصارًا مهمًّا لسيدتي الجميلة في وجه المتشددين! ولأول مرة في بلاد المسلمين تنطلق داعيات للعمل بالمساجد في وسط النساء بعدما تم تخريج أول دفعة منهن..

وهكذا أصبح عندنا شيخ وشيخة! بعدما كانت الدعوة إلى الله تقتصر على الجنس الخشن وحده أو بني آدم ودون بنات حواء.

وكنت أتمنى رؤية هذه الخطوة بأرض الكنانة أولًا.. بلد الأزهر الشريف فهناك معاهد للداعيات ولكنهن يحصلن على شهادة ويمكثن في بيوتهن بعد ذلك!! لكن مراكش أو المغرب الشقيق قرر الاستفادة من الصبايا المتخصصات في الشئون الدينية وفي هذا الخير فليتنافس المتنافسون.

والخطوة المغربية تتفق مع إسلامنا الجميل، وأنا لا أفهم لماذا يحتكر الرجال وحدهم العمل في وعظ الناس والقرآن

الكريم يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١). فالسماء لا تعرف التفرقة بين الرجال والنساء لكنها عقلية المجتمع الشرقي التي استبعدت حواء في مجال الدعوة إلى الله وكذلك في مختلف ميادين الحياة وحرصت على أن تكون تابعة لسيدها الرجل بعيدًا عن تعاليم إسلامنا الجميل!!

والجدير بالذكر أن أشهر «فقيهة» عرفها الإسلام هي السيدة عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روت المئات من الأحاديث الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالجوانب الشخصية لسيدنا النبي وعلاقته بزوجاته باعتباره قدوة للمسلمين..

وأخيرًا فإن إطلاق الداعيات في المساجد سيقضي على ظاهرة الدروس الدينية التي تقوم بها بعض النساء المتدينات ولكن يغلب عليهن التشدد ويصبح تقديم إسلامنا الجميل بواسطة هؤلاء على كف عفريت!!

# سيدتي الجميلة

نبي الإسلام له كلام جميل عن الزوجة الصالحة التي تنطبق عليها مواصفات سيدتي الجميلة.. ففي حديث شهير له ينصح «العريس» بالحرص على شروط ثلاثة وهو يختار رفيقة عمره: «إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته».. فإذا توافرت كل هذه الصفات في إنسانة ستعيش معك بقية عمرك، فهي لا شك «عروس لقطة».. الحلاوة والأخلاق وزوجة تحرص على راحتك، وما فيش صداع أو وجع دماغ!! وحظك في هذه الحالة من السماء واحمد ربنا لأنك وفقت في العثور على امرأة بهذه المواصفات أو.. سيدتي الجميلة.

والشطر الأول من الحديث الشريف يقول: «إذا نظر إليها سرته».. والجمال كما هو معروف نسبي، ويلاحظ أن الزوجة تهتم بجمالها خارج بيتها، وتهمله وهي مع زوجها داخل المنزل!! وهذا وضع مقلوب بالطبع! والمطلوب أن تعتني بنفسها في كل الأوقات، والشرط الثاني في الحديث النبوي الجميل بديهي وليس فيه مشكلة

«إذا غاب عنها حفظته».. يعني صاحبة أخلاق.. ويا بخت كل زوج عنده زوجة جميلة مخلصة له ولا تعرف «اللعب بديلها» بل عندها القدرة على وقف كل إنسان عند حده إذا تجاوز حدوده فهي محترمة في كل الأوقات.. وأرقى نوع من الجمال هو القائم على الاحترام.. وفارق كبير بينها وبين امرأة أخرى جميلة ولكن أخلاقها بايظة! ففي الحالة الأخيرة تكون وبالًا على زوجها سيئ الحظ فجمالها هنا لعنة عليه!

وأخيرًا «إذا أمرها أطاعته»، والأمر هنا يحتاج إلى وقفة لأننا لسنا في ثكنة عسكرية أو علاقة بين ضابط وجندي!! فالزوج هنا ليس ديكتاتورًا! والزوجة ليست خادمة عند حضرته أو سي السيد!!

وسأشرح لك ما أعنيه، لتتأكد حضرتك أن إسلامنا الجميل يمثل الفطرة الإنسانية السليمة.

## سيدتي الجميلة عروس لقطة

بدأت شرح حديث نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام الذي يبين فيه مواصفات العروس اللقطة: «إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته» وشرحت الشرط الأول والثاني وتوقفت عند الثالث!!

فالبعض يعتبر سماع المرأة لزوجها تأكيدًا لنظرية سي السيد التي سادت في عالم الشرق طويلا!

وهناك عدة ملاحظات تشرح هذه النقطة وتؤكد أن إسلامنا الجميل يقوم على الفطرة الإنسانية السليمة، وليس هناك شك في أن سيدتي الجميلة تكره الرجل الضعيف وتحب القوي الذي يحتويها بشخصيته وحنانه، ومن هذا المنطلق يتم فهم كلام سيدنا النبي «إذا أمرها أطاعته» فالزوج ليس بالسيد الذي يأمر امرأته باعتبارها خادمة عند حضرته!!

بل هي شريكة عمره التي ينظر إليها بكل احترام، وفي نفس الوقت هو قائد البيت وقائد سفينة العائلة، وصدق المثل الشعبي

الذي يقول: «المركب اللي فيها ريسين تغرق».. والملاحظة الثانية: إن الحب ليس بالكلام والأوهام فقط بل هو بالدرجة الأولى واقع عملي يتبين فيه الصدق من الكذب، ويشبه الإيمان بالله سبحانه وتعالى فيه حديث شريف يبين مواصفاته: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل» وذات هذا المعنى ينطبق على الحب، فالزوجة تطيع من اختارته بقلبها وعقلها لأنها تحبه وهو يبادلها نفس العاطفة.. والملاحظة الثالثة: إن المرأة تحب الرجل القوي «الذي يملأ هدومه» بالتعبير العامي وتكره من يظن أن القوة تعني الظلم وطول اللسان والمعاملة السيئة، فإذا كان قويًّا وفي ذات الوقت مهذبًا فهو في هذه الحالة عريس لقطة!! وأخيرًا فإن الرجل يكره بطبعه المرأة النكدية التي تحاول فرض شخصيتها عليه، فحياته معها في هذه الحالة عبارة عن صراع مستمر ويتطلع إلى أن تكون شريكة عمره لطيفة وظريفة ولا تضرب بكلامه عرض الحائط، بل مطيعة له لأنها تحبه.. وقد يظن البعض أن ما أقوله كلام رومانسي!! لكن تلك المعاني هي من تعاليم إسلامنا الجميل.

## أنا حرة

أنا حرة.. كلمة سادت بين قطاع عريض من النساء وانتشرت في عديد من بلدان العالم، ورأيتها في الكثير من الأحيان يراد بها الباطل!! يتمثل في حقها أن تفعل ما تشاء في أي وقت تريد!! وسيدتي الجميلة تفهم الحرية بغير هذا المعنى وبما يتفق مع تعاليم الفطرة الإنسانية وتعاليم السماء..

وهناك من يرفض أصلًا الاعتراف بحرية المرأة!! ويراها قاصرة وتحتاج إلى توجيه من الرجل سواء أكان والدها أو زوجها، وهؤلاء أراهم من المتشددين وأفكارهم تخاصم إسلامنا الجميل الذي أكد على أن الناس جميعًا أحرار ولا فارق في ذلك بين الذكر والأنثى وآدم وحواء، وكلاهما على قدم المساواة في الحقوق والواجبات.

وفي المقابل تجد نوعًا آخر من التطرف تختلط فيه الحرية بالانحلال! وتجد الواحدة من هؤلاء «ماشية على حل شعرها» بالتعبير العامي بحجة أنها حرة «أو ترتدي الملابس الخليعة» فإذا

اعترضت على ذلك قالت لك: «وأنت مالك.. أنا حرة»! وعادي جدًّا أن تسهر إلى ما قرب طلوع الفجر! وشيء طبيعي أن يكون لها صاحب أو ما يسمى بالتعبير الأجنبي «البوي فريند»! وكل هذا باسم الحرية المفترى عليها والحب المظلوم!!

والنوع الراقي من النساء يفهمن الحرية بما يتفق مع الأخلاق والفطرة الإنسانية السليمة فهي حرة في اختيار طريقها ودراستها ومن حقها أن تختار شريك حياتها بكامل حريتها!! وفي حياتها اليومية فهي حرة أيضا، لكن الحرية تعني المسئولية والحفاظ على سمعتها بحيث تكون محترمة في كل الأحوال، فإذا وجدت فتاة لطيفة وظريفة وفي ذات الوقت متدينة وصاحبة خلق فاعلم أنها حواء بالدنيا وفيها كل مواصفات سيدتي الجميلة.

## سيدتي الجميلة من الروضة إلى الجامعة!

في كثير من الأحيان تجد زواج العشاق قد فشل وتم الطلاق بعد سنوات قليلة من الارتباط وتصيبك الدهشة وأنت تسأل عن أسباب النكد الذي طرأ على حياة «روميو وجولييت» بعدما دخلا عش الزوجية؟! وانتهى التفاهم الذي كان قائمًا، وكثرت الخناقات بينهما، ولم يعد أحدهما يطيق الآخر.. «طيب.. إزاي.. وليه؟» كيف تتحول جنة العشق إلى جحيم أو غرام وانتقام!!

وإذا أردت حضرتك أن تعرف الإجابة، فإني ألخصها لك في كلمتين بالضبط: «الحب أعمى»! فالغرام يعميك عن رؤية عيوب محبوبك! والعكس صحيح، وإذا فتحت عينك ورأيت الأمور بطريقة صحيحة يكون الوقت قد فات! ويتحول عش الغرام إلى سجن الزوجية لأن سيادتك كنت لا مؤاخذة ضعيف النظر مع أن المفروض عند اختيار شريك عمرك أن يكون نظرك ستة على ستة!

وفي وقت الخطوبة قبل الارتباط يقدم كل منهما أجمل ما عنده من

الذوق وكرم الأخلاق.. يعني آخر تمام! فإذا تبيّن العكس وتكشفت حقيقة شريك عمرك وتأكدت من أنه «مش ولا بد» ورفضت إتمام الزواج، فأنت في هذه الحالة حظك من السماء وعليك أن تسجد لله شكرًا لأنه أنقذك من مصيبة!؟ وتمكنت من النجاة من الغرق في بحر مضطرب من الخناقات مع واحدة لا تستحقك أو عريس مقلب، وإن شاء الله ستجد أفضل منه!

ومن أهم أسباب فشل زواج الحب كذلك إصرار العشاق على البقاء في سنة أولى حب أو حتى «الروضة» دون بذل أي جهد للوصول للثانوي والارتقاء للجامعة.. يعني الحب عندهم مجرد كلام معسول وسهر الليالي وأغاني عبد الحليم حافظ! «مع أن البكالوريوس في جامعة الغرام» يعني أن الخريج يفهم الحب على أنه حب وتضحية ونكران للذات وكل المعاني الجميلة الراقية.. وصدقت تلك الحكمة التي تقول: «وراء كل عظيم امرأة تحبه» مع ملاحظة أن الكلمة الأخيرة من عندي!!

## آية قرآنية لا نراها في حياتنا!

في يقيني أن السبب الرئيسي في حياتنا النكد ابتعادنا عن تعاليم الدين: فسأذكر لك مثالًا محددًا لما أعنيه بدلًا من الدخول في جدل بيزنطي! وما أقصده تجده بسورة النساء في الآية رقم ٣٥ التي تقول: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾. وأراهن أن حضرتك شاهد على أن هذه الآية لا نراها في حياتنا!

فالكلام أسهل شيء عند الكثير من المسلمين بدلًا من أن يكون أبغض الحلال إلى الله!! ونادرًا ما ترى اجتماعًا لحكماء عائلة الزوج والزوجة ومحاولة فض الخلاف بينهما قبل أن يستفحل الأمر ويصل إلى درجة الطلاق وذلك تطبيقًا للقرآن وآياته! بل الناس تتصرف بأهوائها، وكتاب الله حذرنا من ذلك في أكثر من آية قائلًا: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الفرقان: ٤٣)! وهو تعبير جميل أعجبني وفيه سخرية لطيفة من هذا الذي لا يسير على تعاليم ربنا، بل اتخذ إلهه هواه! ولو كان الإسلام مطبقًا في

حياتنا الشخصية والعامة لحدث تغيير أكيد في الكثير من أحوالنا المعوجة! فمثلا الطلاق كان سيتم «بشياكة» واتفاق بين الطرفين بعد فشل خبراء العائلة في حل الخلافات القائمة ويرى هؤلاء أنه لا سبيل إلا الطلاق بالتي هي أحسن وليأخذ كل ذي حق حقه بدلًا من البهدلة في المحاكم!

## أنت رجل البيت!

بدأت الحديث عن القوامة التي يفهمها الناس غلط! فهناك من يقول: «هذا الأمر كان زمان ودلوقت لا توجد قوامة ولا يحزنون» لأننا في عصر المساواة بين الرجل والمرأة! وفي مقابل هؤلاء تجد عقلية تؤكد أن الزوج سيد بيته وهو يتحكم في امرأته التي لا تملك إلا أن تطيعه وإلا لعنتها الملائكة وغضبت عليها السماء وهذا بالطبع مفهوم خاطئ جدًّا للقوامة! وإسلامنا الجميل يقوم على الفطرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠). ومن هذا المنطلق تستطيع أن تفهم القوامة!

والبداية منطلقها أن حواء تحب الرجل القوي ولا تطيق الضعيف وكذلك الديكتاتور أو سي السيد الذي يظن أن كل كلامه أوامر!! فإذا كنت سعيد حظ واقترنت بسيدتي الجميلة فاعلم أنها تنتظر منك الكلمة الحلوة والمعاملة الطيبة، وتأكد من النتائج المثمرة لذلك، وتتمثل في أن شريكة العمر ستكون ملك يديك! وتسمع كلامك وتطيع أوامرك بالحب وليس بالكرباج.

وبهذه الطريقة تكون رجل البيت والكلمة العليا في كل ما يتعلق بشئون ذلك تكون لحضرتك لأنك زرعت نبتة طيبة في بيتك تمثلت في معاملة حلوة لامرأتك ومن حقك الآن أن تجني ثمارها! وهناك بالطبع استثناءات! مثل واحدة يعاملها زوجها بما يرضي الله ولا يزيدها ذلك إلا عدوانًا ويشكل سلوكها صداعًا مزمنًا للزوج المسكين الذي أوقعه حظه في امرأة سيئة! وهذا الأمر في رأيي يرجع إلى سوء التربية ونقص التدين والبيئة التي نشأت فيها هذه الإنسانة النكدية! والأسرة التي تنتمي إليها ولكن في النهاية يظل الاستثناء محدودًا ولا يمكن أن يتحول إلى قاعدة وأنت بأخلاقك الجميلة تستطيع أن تكسب «واحدة زيك» دون جديد أقول إنك إذا كنت سعيدًا في حياتك الزوجية؛ فاحمد ربنا كثيرًا جدًّا فهذه نعمة من السماء.. فاحرص عليها..

# رغم أنها متدينة

هل يمكن أن يفشل زواج قام أساسًا على التدين؟؟ يعني اختار العريس عروسه لأن أهم ما فيها أنها تعرف ربنا.. وهي نفس الشيء.. شريك العمر لا يدع فريضة إلا ويصليها في الجامع.. مع ذلك قد يقع الطلاق بينهما! طيب إزاي وليه؟؟ وهكذا تتراقص كل علامات الاستفهام دون أن تجد إجابة!!

في رأيي أن الأمر لا يدعو إلى الدهشة!! فإسلامنا الجميل يجمع بين الدنيا والدين، وخطأ العريس والعروس في تلك الحالة التي انتهت بأبغض الحلال أنهما تطلعا إلى السماء فقط! وظنا أنها تغني عن النظر إلى الأرض.

والأمر يحتاج إلى توضيح.. فرسولنا عليه الصلاة والسلام يقول: «تنكح المرأة لأربع: لجمالها ونسبها ومالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

فهل يعني ذلك إهمال الأمور الثلاثة الأخرى الحيوية في الزواج؟ بعض المتدينين ويا للأسف فهم ذلك، وانتهى الأمر بطامة

نزلت على رؤوسهم! لأنهم لم يلتفتوا إلى ما يجري في الأرض! وقد تكون العروس متدينة لكن أهلها أي كلام! أناس يتطلعون إلى المادة، فالزواج من ابنتهم في هذه الحالة مغامرة كبرى! ومن يفعل ذلك «فذنبه على جنبه» بالتعبير العامي! قد تكون الفتاة التي رشحها قلبك للزواج منك «بنت حلال» وأسرتها أناس زي الفل، ولكنها لا تلائمك بالمرة! فهي فتاة اجتماعية وعفريتة تحب الخروج والمرح، بينما حضرتك إنسان «بيتي» محافظ وتميل إلى النوم بدري فإذا تزوجت تلك التي يدق قلبك لها فقد انقلبت حياتك رأسًا على عقب، رغم أن أسرتها رحبوا بزواجك منها! ألفت نظرك إلى أمر يغفل عنه الكثيرون! ويتمثل في أن التدين أنواع! فإذا تزوج إنسان يحب إسلامنا الجميل من فتاة متشددة فستحول حياته إلى نكد كبير لأنه يحب الحياة الحلوة والآخرة، بينما زوجته المتشددة ترفض الدنيا، فزواجه منها يعني مقلبًا ساخنًا رغم أنها متدينة!!

# نعمة ونقمة

نعمة ونقمة: كلمتان بينهما تشابه عجيب لكن الفارق بينهما شاسع في حياتك الخاصة والعامة.. زوجتك قد تكون فيها مواصفات سيدتي الجميلة فتكون نعمة على حضرتك. أو العكس إنسانة نكدية وهذا من سوء حظك فتصبح في تلك الحالة نقمة! وأولادك هم بالطبع فلذة كبدك وأمل حياتك وعمرك كله يتمثل فيهم فماذا عن مستقبلهم؟ لا شك أنك تتطلع إلى أن يكونوا في أفضل حال وتبذل جهدك في ذلك لكنك لا تعلم ماذا يخبئ القدر لهم؟ قد يكونوا بإذن الله مصدر فخر لك وتاجًا يوضع على رأسك فهم بحق نعمة عليك وأعوذ بالله أن يكونوا مصدر شقاء وتعاسة وأمراض تصيبك لأنهم للأسف سيكونوا نقمة على كل من حولهم بسبب تصرفاتهم الرعناء، والقرآن الكريم يلفت نظرنا إلى ذلك كله فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن: ١٤). وهناك أمور قد تبدو لأول وهلة نقمة لكنها في الحقيقة نعمة!! وافترض أن إنسانًا تحبه جدًّا

ذهب إلى ربه فهي مصيبة ولا شك، لكن تلك الكارثة قد تحمل في طياتها نعمة مثل موته دون أن يتعذب بمرض طويل! وهذا المتوفى عندما يرى نعيم الآخرة أتخيل أن يقول: «موتي والحمد لله نعمة»! أما بالنسبة لك فإن الموت يؤكد لك أن الدنيا لا تساوي شيئًا واكتشافك لهذا الأمر وتغيير حياتك بناء على ذلك يعتبر نعمة عليك فاحمد ربنا على ما جرى!

والطلاق وفراق شريك العمر أمر تحزن له ولكنه يكون الحل الوحيد لحياة فاشلة وأنت تريد أن تهرب بجلدك من تلك المرأة المتجبرة التي أخذت فيها مقلب عمرك!! فهي لا تملك أيـًّا من مواصفات سيدتي الجميلة! فإذا حدث الطلاق دون مشاكل فهذه نعمة بالطبع وعليك أن تحمد ربنا الذي أنجاك من تلك «النقمة»! أو العكس صحيح بالطبع.. فالرجل قد يكون بلاء على امرأته وخلاصها من تلك «النقمة» أكبر نعمة!!

## أنت وحظك!

تحدثت معك عن كلمتين باللغة العربية فيهما تشابه عجيب من حيث تشكيل الحروف والكلمات ولكن الفرق بينهما شاسع في دنيا الواقع: «نعمة ونقمة».. من فضلك لاحظ شدة التقارب بينهما.. زواجك مثلًا.. إما أن ينتمي إلى الفئة الأولى فتكون من السعداء حتى ولو شاب حياتك مع شريك العمر أحيانًا شطة وفلفل!! أو. لا قدر الله، تكون تعيسًا لأن اختيارك «طلع مقلب». ومن حقك التساؤل كيف حدث ذلك؟ وفي ليلة العمر تتمنى أن تكون أسعد إنسان فما الذي جرى، الزواج خارج الحسابات وواحد زائد واحد لا يؤدي إلى اثنين في الحياة الزوجية.. وهناك عوامل كثيرة جدًّا متداخلة في هذا الموضوع، وأنت وحظك، وتذكرت الحكمة التي تقول: «كيفما تكونوا يولى عليكم».. وهذا الكلام ينطبق تمامًا على الزواج، فإذا كنت من أهل الخير فغالبًا ما يكون شريك عمرك بذات أخلاقك! والعكس صحيح، واحد من شياطين الإنس لا يعقل أن يتزوج من فتاة عندها أخلاق وملاك! لكن أحيانًا يكون الإنسان في خير كثير ويقع في براثن من لا يرحم، ويكون الطلاق وسيلة الإنقاذ! وأنت وحظك وأرجو أن تكون من السعداء.

## وراء كل منحرفة رجل أشد انحرافًا

إذا كان وراء كل عظيم امرأة فإن وراء كل منحرفة رجلًا!! ما رأيك في تلك المقولة؟؟

البنات نوعان.. أغلبية ملتزمة وأخرى «ماشية على حل شعرها»!

فهي في إجازة حتى من الأخلاق!! والمؤكد أن هناك خللًا في حياة تلك التي تسهر في اللهو حتى قرب طلوع الفجر ولا تستيقظ إلا في ساعة متأخرة من الظهيرة وتبدأ يومها عند الغروب!

بمعنى آخر تفتقد إلى الأسرة التي تحافظ عليها.

وتعالوا معي نضع النقاط فوق الحروف في هذا الموضوع بعيدًا عن الكلام النظري.

وأسألك في تلك التي تنطلق في اللهو بعيدًا عن أية قيود.. هل يوجد رجل صالح في حياتها؟

الإجابة طبعا لأ... فهي إما أن تكون قد نشأت في بيت لا يعرف ربنا! أو تزوجت وفشلت في تكوين أسرة وأصيبت بصدمة دفعتها

إلى الانحراف، أو هي من أهل أوروبا لكنها مصرية بالمولد فقط!! فهي بتفكيرها تنتمي إلى الخواجات وتفضل صحبة الشباب على الزواج والاستقرار وتكوين أسرة! وبقدر ما هي متهمة بفساد أخلاقها.. فهي مجني عليها لأنها ضحية بيئة فاسدة!

ولذلك يمكن أن تجد من هذا النوع زوجات منحرفات، وعلى ضوء ما قلته أطلب منك مراجعة ما ذكرته لك في بداية كلامي.. «إذا كان وراء كل عظيم امرأة فإن وراء كل منحرفة رجلا» وسألتك عن رأيك في مقولتي هذه وأظنك قد تعرفت على وجهة نظري..

وباختصار فالإنسان يولد على الفطرة كما أخبرنا بذلك سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، وانحرافه يكون بسبب البيئة الفاسدة.. شلة السوء أو أسرة مفككة وما قلته عن الصبايا ينطبق كذلك على الشباب وصدق القرآن الكريم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (القصص: ٥٦). ويا مقلّب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.

## الزواج صفقة متكاملة!

من فضلك احترس من هذا العنوان.. قد تظن أن الأمر فيه مادة وفلوس وبيزنس على طريقة خذ وهات! لكنني قصدت أمرًا آخر.. زواجًا يشارك فيه القلب والعقل معا، إذا تزوجت وعقلك راضٍ ولكن قلبك لم يدق فذنبك على جنبك! أما لو كنت رومانسيًّا ووقعت في حب واحدة لا تناسبك واحتج عقلك ولكنك لم تلتفت إليه، وأصررت على الزواج وفي ذات الوقت لا تستطيع التخلي عن حبيبتك وقد تظن أن قرارك صحيح، لكنك تلقي بيدك إلى التهلكة، وستعرف بعد فوات الأوان أن عقلك كان على حق لأن العروس ليست مناسبة، فعليك تحمّل نتيجة ما قمت به من طلاق لا يبقي ولا يذر! وقد تكون البنت مادية تنتمي إلى عائلة من أثرياء الحرب الذين لا أصل لهم ولا فصل! لأنك اندمجت في دور روميو وجولييت أو قيس مع ليلى، وأتذكر هنا الأغنية للمطرب الراحل عبد الحليم حافظ وفي مقطع منها يلعن قلبه الذي ألقى به إلى التهلكة ويسأل هذا القلب: «هل أنت نقمة ربي؟ أو لعنة حبي»! «ويا بركة دعا

الوالدين «جملة مأثورة صحيحة تماما».. فالزواج الناجح يباركه الأب والأم فإذا اعترض أحدهما فعليك إعادة النظر في اختيارك. وفي تقاليدنا الشرقية يحق لرب الأسرة تقديم عريس إلى ابنته، فإذا وافقت كان خيرًا وبركة ولكن ماذا لو اعترضت؟

في يقيني أن هذا حقها! ولها أن ترفضه إذا لم يدق قلبها له! واتهامها بأنها دلوعة تهمة غير صحيحة والعلماء الذين ينتمون إلى إسلامنا الجميل يرفضون رفضا قاطعًا تزويج الفتاة برغم أنفها ولا يجوز للأب أن يصدر فرمانًا بأن تتزوج فلانًا أو علانًا، فهذا الأمر ليس من سلطاته، فالزواج كما قلت لك من البداية صفقة متكاملة بين قلبك وعقلك.

## حظك في الزواج

قلت إن اختيارك لشريك العمر يجب أن يتم بالقلب والعقل إذا أردت له النجاح، وقلبك وحده يمكن أن يوديك للتهلكة! وهناك من يرى أن الزواج بالعقل يكفي... أما القلب ودقاته وسهر الليالي فهذا كلام رومانسي لا يتفق مع عصرنا المادي وكل شيء فيه محسوب، والزواج في النهاية قسمة ونصيب.. وبالطبع أعترض على هذا المنطق العقلاني الذي لا يعترف بالحب، وإذا تزوجت وأنت لا تشعر أن شريك العمر قريب منك جدًّا فذنبك على جنبك، وانتهاء تلك العشرة بالطلاق أمرًا لا غرابة فيه لغياب القلب ودقاته وهو عنصر أساسي في الاختيار. وحتى لا أخدعك فإنني أسارع إلى القول إن الزواج في النهاية توفيق من ربنا فلا توجد قواعد تحكمه وإنما عليك أن تحسن الاختيار بالعقل والقلب معًا وبعد ذلك تتوكل على الله وأنت وحظك يا بطل!

وفي الحساب واحد زائد واحد يساوي اثنين، لكن هذا لا ينطبق على شريك العمر.. فواحد يساوي مليونا إذا كنت سعيدًا

في حياتك الخاصة، ويمكن لهذا الواحد أن يؤدي إلى حفر مربع قابل للضرب والتلطيش إذا كانت أيامك نكد! وهناك من تزوجوا بعد قصص حب رائعة! وكانت المفاجأة مذهلة عندما تحطمت حياتهم على صخرة الحياة الزوجية.. طيب إزاي.. وليه؟ وكل علامات الاستفهام الأخرى مطروحة! هل غاب العقل في الزواج؟ أم أن الحب أعمى فلم يكتشف العاشقان خصائص بعضهما إلا عند العشرة اليومية بعدما حجب عنهما «كيوبيد» ، إله الحب عند الإغريق، الرؤية لمدة طويلة! والسعادة الزوجية لا بد أن يصاحبها شوية نكد وخناقات مثل السحب التي تأتي في سماء صافية، ولا توجد شمس بتطلع على طول في أي مكان! بل إن تلك الأمطار التي تغمرك أحيانا في حياتك إنما هي مجرد تذكرك أنك تعيش في نعمة عندما تكون الدنيا ربيع والجو بديع بتعبير أغنية الراحلة سعاد حسني رحمها الله، وفي يقيني أنه إذا أرادت السماء الانتقام من إنسان فإنها لا تنتظر حتى قيام الساعة، بل ترسل له من ينكد عليه عيشته في الأرض.. أليس كذلك؟

## الطيور على أشكالها تقع!

هناك حكمة تقول: «من الحب ما قتل»!! ودقات قلبك إما أن ترفعك لفوق أو تهوي بك إلى الحضيض! وهناك من يحب المرأة اللعوب، أو ترى واحدة تتعلق برجل سافل يفعل بها «الهوايل»، فهذه حالات تشبه الإدمان على الحشيش أو البانجو، ويا رب تشفي كل مدمن من دائه أو مصيبته!

فالحشاش يحب ما يتعاطاه وكذلك الرجل عندما يقع في غرام امرأة سوء! وصدق من قال: «الطيور على أشكالها تقع» وقد تكون امرأة حلوة ملفتة للأنظار «وشياكة ما فيش أحسن من كده» ومن أجلها يفلس أو بالتعبير العامي «يبيع اللي قدامه واللي وراه كمان»! وكذلك هذا النصاب الذي ينجح في خداع فتاة ساذجة فهو يجيد اللعب بالبيضة والحجر بتعبيرنا الشعبي أو يعمل من البحر طحينة! ولا تستطيع أن تعتبر الضحايا من المساكين! بل إنهن ينتمين إلى أسر لم تحسن تربيتهن، أو تنجح في تحصينهن بالأخلاق حتى ولو كن ينتمين إلى عائلات عريقة «فهن أي كلام» إذا لم يكن عندهن تدين يحفظهن!

وسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «يحشر المرء مع من أحب» وذلك في آخرته بالطبع، لكنني أعتقد أن هذا الأمر ينطبق على الدنيا أيضا «وآه من أصدقاء السوء ومصائبهم» وإذا أردت أن تعرف معدن إنسان وهل هو من النوع الرديء أو الجيد، فقم بالتفتيش على أصحابه ومن يخالطهم.

## متعة المرأة الصالحة!

كلام جميل ورد على لسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في حديث نبوي شريف جاء فيه: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» ويمكن تقسيم ما قاله سيدنا النبي إلى قسمين: القسم الأول يطالب فيه المؤمنين بالاستمتاع بحياتهم على الأرض، فالأصل في الأشياء أنها حلال بينما الحرام والمكروه، على سبيل الاستثناء، ودوائرهما ضيقة. وتلك القاعدة النبوية عكس ما يقوله أهل التشدد والتزمت على طول الخط! والجزء الثاني يركز على المرأة الصالحة واعتبارها أحلى ما في الدنيا وإذا عثرت في حياتك على مواصفات سيدتي الجميلة فأنت محظوظ وأهم ما يشترط فيها ويمثل الحديث النبوي أن تكون صالحة فإنها في هذه الحالة يمكنها أن «ترفعك لفوق»! أو على الأقل ستعيش معها وأنت مستريح، فلا تكون بمثابة صداع في حياتك أو كابوس في الواقع وليس في المنام!

فالزوجات أنواع: واحدة تودي زوجها إلى التهلكة! «وواحدة

تانية» أقل سوء فهي تحافظ على بيتها لكن مع المشاكل المستمرة وتراها مثل الشطة في الطعام!

النوع الثالث العظيم يتمثل في الزوجات الصالحات وتنجح الواحدة من هؤلاء في ترجمة كل ما يقوله القرآن عن البيت السعيد إلى واقع فعلى مثل السكن والمودة والرحمة.

# متدينة وبتحبك

ذكرت لك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وواضح أن هذا الكلام صفعة على وجه المتشددين وعندهم كلمة حرام شائعة وتنافس السلام عليكم!! وفي يقيني أن المرأة الصالحة تعني أمرين على وجه التحديد: الندية والحب، وإذا وجدت ذلك في شريكة حياتك فقد عثرت على مواصفات سيدتي الجميلة وهذا يعني أن حظك من السماء وربنا راضي عنك، ويا بختك يا عم! وهناك صلة وثيقة بالطبع بين إنسان يعرف ربنا جيدا وبين أخلاقياته ومن الصعب جدًّا تصور امرأة بتصلى وبتلعب بديلها في نفس الوقت وإذا حدث هذا تبقى كارثة أخلاقية بكل المقاييس، ومن حقك في هذه الحالة أن تطرح كل علامات الاستفهام في الدنيا مثل «إزاي وليه وعلشان إيه»؟؟!! وكيف تسجد لخالقها وهي امرأة ماشية على حل شعرها؟ والجدير بالذكر أن العكس يمكن قبوله.. يعني واحدة لم تتعلم الأدب مع الله ولا تعرفه إلا في المناسبات ومن الجائز جدًّا أن

تراها في رمضان صائمة من غير صلاة!! وفي شهر الصيام يحلى السهر عندها فلا تتوقع من تلك المرأة أن تكون صاحبة أخلاق، أو إنسانة مخلصة لزوجها مضحية من أجله بل هو ضحيتها! وإذا كانت إنسانة متعبة أو «سمعتها مش ولا بد» فهذا أمر لا غرابة فيه لأن ضميرها في إجازة!! وعكس الأخرى المرتبطة بالدين وتعاليمه، فانحرافها كارثة والمخالفة التي ترتكبها تشكل جناية مقارنة بالمرأة التي تمشي على هواها! وإذا جئنا إلى الحب نجد الكلام فيه يطول، ومن فضلك انتظرني.

## التدين وحده لا يكفي!

أخشى أن يكون العنوان سالف الذكر فيه صدمة لك، من حقك أن تقول: «الإنسان المتدين زي الفل فكيف لا تقبل به سيدتي عريسًا لها»! وفي يقيني أن معرفة ربنا أساس متين لحياة زوجية ناجحة، لكنه وحده لا يكفي، ويشبه العمارة، فأساسها لا يغني عن أمور أخرى ضرورية وجوهرية مثل إدخال الماء والكهرباء وتأثيث الشقة ذاتها وفرشها، وبدون هذا كله لا يمكن لصاحبها تأجير عمارته أو إعطاؤها تمليكًا للسكان وكذلك الزواج فإذا وجدت الحب غائبًا، فقل على الدنيا السلام! وهناك خطأ شائع بين أصحاب الاستقامة! فهم يقبلون على اختيار نصفهم الآخر بمجرد تأكدهم من تدينهم وصلتهم الوثيقة بالله ودون النظر إلى مدى التقارب بين العريس وعروسه الذي يفتح الباب لدخول الحب. فإذا كانت الشخصيات متناقضة وكل منهما له مزاج مختلف عن الآخر، فإن هذا سيغلق الطريق أمام عاطفة حلوة تنمو بينهما، ويصدق في هذه الحالة المثل القائل: «إذا دخل الزواج من البيت خرج الحب من الشباك»!

والسبب أن الأبواب مغلقة أمامه أو على الأقل «مواربة» فلا يستطيع دخولها بسهولة! فلا يملك في النهاية إلا أن يخرج من الشباك!!

وهناك حديث شهير لسيدنا النبي عليه الصلاة السلام يقول فيه: «تنكح المرأة لأربع لجمالها ومالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».. وعن تفسير الحديث لم يقل أحد من العقلاء إن المواصفات الثلاثة الأخرى «مش مهمة» لكن التدين له المرتبة الأولى ويأتي في المقدمة.. وهذا ما فهمه علماء إسلامنا الجميل من كلام نبي الإسلام، وأنت إذا تزوجت بإنسانة جميلة ومن أصل طيب وصاحبة مال وثراء فقد فزت بالدنيا وما فيها.. أليس كذلك؟

## بين الحب والحرية!

هناك تشابه عجيب بين الحرية ودقات قلبك عندما تقع في الحب! وكل منهما أجمل شيء في الدنيا وهذه هي الصفة الأولى المشتركة بينهما. أحلى ما في الحياة أن يكون الإنسان سيد نفسه لا يوجد من يتحكم فيه، وحياته مع رفيق عمره قوامها الحب.. والأمر الثاني أن كلًا منهما خطر! يعني الحب يمكن أن يرفعك لفوق أو يخسف بك الأرض وكذلك الحرية، فهي إما نعمة عليك إذا أحسنت استخدامها أو مصيبة وبلاء إذا أدت إلى ضياع الشباب وانحرافهم!ونقطة التلاقي الثالثة بين الحب والحرية تتمثل في المسئولية، فهي بمثابة الفرامل التي تحول دون انجراف الحب إلى الانحلال، وتحمي الحرية فلا تتحول إلى فوضى وحياة عابثة! وسيدتي الجميلة إذا كانت حرة بصحيح ومسئولة فستجدها محترمة ولن تراها في أماكن العبث تحت حجة أنها حرة! أو تعود إلى بيتها قبيل الفجر وهي سكرانة، فهذه ليست حرية بل قلة أدب وانحرافًا ويتحمل «الرجالة» المسئولون عنها جزءًا كبيرًا من هذه الفوضى لسماحهم لها بذلك!

ويا ليت والدها «يلطشها قلمين» حتى تفيق لنفسها وتعود إلى رشدها! والحرية بريئة من هذا الذي يجري بسبب غياب المسئولية، فهما مثل التوأم لا يستغني أحدهما عن الآخر! والحرية تعني أن تختار المرأة طريقها في الحياة دون تدخل من أحد سواء في اختيار شريك العمر أو التخصص إذا أرادت أن تعمل وكذلك في حياتها الخاصة، فهي حرة طالما هي ملتزمة بأخلاقيات المجتمع!

وذات هذا الوضع بالضبط تجده في الحب، فهو مرتبط بالمسئولية فإذا افتقد ذلك تحول إلى انحراف وتسلية!! وصدق من قال في هذه الحالة «يا أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك»، ومن فضلك احترس من عيد الحب فهو مقتبس من الخواجات، وفيه مهازل تجري! وهذه العاطفة النبيلة لا تعرف العبث باسم الحب.

وعندما دق قلبك بصحيح فليس هناك مجال للشقاوة أو اللعب بالعواطف!!

## الباب والشباك

«إذا دخل الزواج من الباب هرب الحب من الشباك»! لا أعرف من صاحب تلك المقولة، ويا ريت واحد من القراء المثقفين يدلني على «أصل وفصل» هذا الكلام وحكايته! وأعود إلى أصل الموضوع وأسجل اعتراضي عليه لسببين: الأمر الأول واضح زي الشمس.. فالحب قوام الزواج الناجح، فكيف يطير الأول من الشباك إذا رأى الثاني على الباب!! والبديهي أن الاثنين يدخلان عش الزوجية متعانقين دون الحاجة إلى فلسفة كدابة ومحاولة الإساءة إلى الحياة الزوجية باختراع الباب والشباك. والنقطة الثانية أن الكراهية هي عكس الحب، ولذلك لا أتصور أن تهرب العاطفة النبيلة من الشباك بمجرد رؤيتها للزواج عند الباب! وهل يعقل أن يقترن الإنسان بشريك حياته وهو يكرهه؟. ولا شك أن للحب درجات تختلف باختلاف دقات قلب الإنسان الذي يتطلع أن يكمل نصف دينه..

فهناك دقات قلب سريعة جدًّا جدًّا تجعل الحب أعمى وتطغى

فيه العاطفة على العقل، وعقب الارتباط والعشرة يتبين لكل طرف عيوب الآخر عند التعامل اليومي، لكن بعد فوات الأوان، ويهرب الزواج من الشباك! والسبب أن الحب سبقه في الدخول من الباب ولم يدخلا معا! وعلى العكس من ذلك تجد دقات القلب عند العروس أو العريس باردة إلى درجة تغيظ! فهي تبحث عن الشريك اللقطة الذي يكفل لها حياة سعيدة بفلوسه، ولا يهم دقات قلبها! وهو قد يترك الأمر لعائلته لتختار له أمه مثلًا الزوجة المناسبة من وجهة نظرها، وفي هذه الحالة يسبق الزواج الحب في الدخول من الباب، ويكون الشباك مفتوحًا لأن تلك الزيجة على كف عفريت! والحل يتمثل في الأمر الوسط الثالث الذي أتركه لذكاء حضرتك!

## الحب نجاح

التعبير عن الحب يختلف حسب المرحلة التي يمر بها الإنسان، فالمراهق غير الشاب، والرجل الذي يتحمل المسئولية يختلف عن هؤلاء، والحب إذا كان صحيحًا ومكتملًا فإنه يؤدي إلى نجاح صاحبه، ويعطيه قوة معنوية هائلة عكس الغرام المريض الذي يقوم على سهر الليالي!! تجد الطالب العاشق يريد أن ينجح حتى تتشرف به حبيبته أولًا وكذلك يتطلع إلى التخرج بسرعة بغرض الارتباط بسيدتي الجميلة التي دق لها قلبه!

والزوج صاحب قصة الحب الناجحة ينطلق في عمله ويبدع لأن وراءه امرأة تحبه وترعاه وتحفظ بيته بعكس صاحب الحظ السيئ الذي ارتبط بقصة حب فاشلة أودت به إلى التهلكة وخناقات لا تنقطع وصداع مستمر! وهناك فارق بالطبع بين المريض الأعزب، وهذا الذي يمرض وبجانبه زوجة تحبه، وأنت إذا كنت تحب زوجتك بحق فسترعاها دومًا بالكلمة الحلوة والمعاملة الحسنة، وهي في المقابل ستغفر لك هفواتك!! هكذا يكون بيتك كما أراده

القرآن الكريم سكنًا ومودة ورحمة، والحب من وجهة نظره واسع جدًّا يشمل الدنيا كلها، فإذا كنت تحب الله بحق فستحرص على عبادته، ولا يمكن أن تمر صلاة مفروضة وأنت في حالة طناش!

وسيدتي الجميلة التي تتميز بعاطفة عميقة تجاه أولادها «تحب» أن تخدمهم بعينها أو بكل ما تملك ولا تترك هذا الأمر «للدادة أجنبية» تتقاضى مرتبها بالدولار أو شغالة مصرية! فسيدتي الجميلة «تقوم من بدري» وتستيقظ مبكرًا ترعى أولادها وتشرف على شئونهم قبل ذهابهم إلى المدرسة، وهي في هذا تجدها مختلفة تمامًا عن «ست الهانم» التي تستيقظ قبل الظهر، والحب عندها كلام في كلام! وسر النجاح في العمل هو الحب، فإذا كنت عاشقًا لعملك فإنك ستتقنه وستحرص على أن يكون في أفضل صورة ممكنة... الحب الحقيقي يعني النجاح.. ومبروك مقدمًا!

## الحب حماية!

البيوت الزوجية لا تخلو من فلفل وشطة. وبعض النكد والصداع! فإذا وجدت زوجين «سمن على عسل» طيلة الوقت فهذه معجزة، مع العلم أن عصر المعجزات انتهى من زمان! والحب له دور أساسي في الحد من الخناقات، وتلطيف الجو بين شركاء العمر، فهو حماية لك، وسد عالٍ في وجه أمراض القلوب مثل الحقد والغل وفرض الرأي والأنانية بالإضافة إلى طول اللسان ومن وراءه قلة التربية أو انعدامها! فالحب يزيدك تهذيبًا! فإذا كان بيتك يخلو منه تبقى مصيبة، وحياتك بالتأكيد ستتحول إلى جحيم، وكان الله معك، فإذا أصررت على حياتك الزوجية من أجل أولادك بالرغم من كل مصائبك تبقى إنسانًا بطلًا وإنسانًا محترمًا!! وإذا كانت قد ضاعت منك حياة هانئة على الأرض، فلن يضيع نعيم الآخرة بإذن الله مكافأة من ربك على ثباتك في وجه البلاء لأنك إنسان مضحٍ وأبناؤك عندك أهم من نفسك! وسيدتي الجميلة التي ترفض إنهاء حياتها الزوجية وطلب الطلاق من زوج نكدي تستحق ألف تحية

وتعظيم سلام لأن أولادها فوق أي اعتبار، ولمعلوماتك لا يقدر على هذه التضحية إلا إنسان نبيل وجدع! ومن هنا يتأكد لك أن الحب والزواج مرتبطان مثل التوءم!

وهذا الذي يقول إذا دخل الزواج من الباب هربت العاطفة من الشباك عنده عقدة في حياته..

وأخيرًا أقول لك إذا كنت سعيدًا في حياتك الزوجية بصفة عامة برغم وجود الشطة والفلفل فأنت محظوظ وربنا بيحبك، ويرجع سبب نجاحك إلى أنك إنسان عرفت كيف تختار وتحب..

## الحب رحمة!!

بدأت في دحض المقولة الشائعة: «إذا دخل الزواج من الباب هرب الحب من الشباك»! وتحدثت عن مزايا تلك العاطفة النبيلة التي تجمع بين زوجين.. الحب نجاح.. الحب حماية لحضرتك لأن الحياة الزوجية حتى لو كانت بين روميو وجولييت لا تخلو من الفلفل والشطة وسوء التفاهم!! فالحب يمنع من تطور الخلافات إلى زوابع ويحميك من الرعد والبرق والعواصف ويساعد على عودة السماء صافية بعد ليلة ممطرة.

وأذكر لك اليوم ميزة جديدة مرتبطة بما سبق.. اسمها الحب رحمة.. إنني أرفض المثل العامي الشائع: «ضرب الحبيب زي أكل الزبيب»!! فإذا كان الزوج يحب زوجته بحق فإنه لا يمكنه أبدًا أن «يلطشها قلمين» بحجة تأديبها! ويقول تقطع يدي ولا أفعل ذلك! وكيف يضرب حبيب العمر؟ وهكذا يتضح لك أن الحب له مميزات عدة من بينها أنه يجعل الإنسان رقيقًا حتى في خصامه، فلا يبطش أو يمد يده بسوء إلى شريكة حياته! وكذلك فإن تلك

العاطفة تساعد الإنسان أن يكون أكثر تهذيبًا! فأنت إذا تشاجرت مع زوجتك أو كنت إنسانًا عصبيًا فإنه قد يصدر منك ما لا يليق من ألفاظ القذف والسب بالأب والأم أو بالتعبير العامي قلة الأدب مع أقرب الناس إليك!! ولكن لا يمكن تصور ذلك إذا كانت تلك التي تشاجرت معها قطعة منك وحبيبة عمرك.. ومش معقول «تشتم نفسك» والخلاصة أن الحب يرتقي بالإنسان وحتى في خصامه يكون إنسانًا جنتملان أو راقيًا! ولذلك فالحب ليس بالكلام بل هو سلوك بالدرجة الأولى.

## المرأة تخرج ثلاث مرات!

منذ أيام كانت ذكرى وفاة إمام عصره الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وهو من أبرز علماء الإسلام دفاعا عن سيدتي الجميلة، وله كتاب مشهور في ذلك أثار حفيظة أهل التشدد والتزمت، وقبل أن أحكي لكم عن كتابه أسرد لكم تلك الواقعة.. ففي مرة سمع خطيبًا مشهورًا يصيح بأسى وغضب ويقول: «رحم الله أيامًا كانت المرأة فيها لا تخرج إلا ثلاث مرات.. مرة من بطن أمها!! وأخرى من بيت أهلها إلى بيت زوجها.. وثالثة إلى قبرها»!! فاستشاط شيخنا الغزالي غضبًا عند سماعه لهذا الكلام قائلا: «لا بارك الله في هذه الأيام، ولا أعادها في تاريخ أمتنا.. إنها أيام جاهلية لا أيام إسلام.. إنها انتصار لتقاليد جائرة وليست امتدادًا للصراط المستقيم وهي من الأسباب الأساسية التي أدت إلى تدحرج أمتنا الإسلامية من العالم الأول إلى العالم الثالث المتخلف».

وحاول أحد أنصار هذا الشيخ المتشدد أن يجادل الداعية الكبير محمد الغزالي رحمه الله فيما قاله وسأله: «لماذا ننكر هذا الشعور

الذي فاض به قلب واعظ مخلص؟؟ أليس يؤكد بما قال الحديث الوارد عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن المرأة لا ترى أحدًا ولا يراها أحد»!! وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وضم ابنته إلى صدره قائلا: «ذرية بعضها من بعض» فرد الشيخ الغزالي على الفور قائلا: «إنك تحكي حديثًا منكرًا لم يذكره كتاب سنة محترم، وهذا الكلام يخالف ما تواتر من القرآن الكريم والأحاديث الصحاح وسيرة النبي الكريم وخلفائه الراشدين»!! وأعداء المرأة اختلقوا أحاديث تفرض الأمية على النساء وصدقهم المخدوعون فلم يفتحوا مدرسة للبنات، واختلقوا أحكاما تمنعها من ارتياد المساجد!! ومضوا في جهالتهم حتى أضاعوا وظيفة المرأة دنيا ودينا واقتصرت على الجانب الحيواني وحده!! والإسلام بريء من هذا كله.. إنها جاهلية لا يعرفها إسلامنا الجميل.

## بضاعة ثمينة وتاجر خائب!

الإسلام متهم بإهانة المرأة واستضعافها! فهل في كتاب الله وسنّة رسوله ما يؤكد هذه التهمة؟

الإجابة معروفة.. فالقرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين.. الرجل والمرأة معًا.. وأن انكسار أحد الجناحين يعني التوقف والهبوط.

ويطلق الشيخ محمد الغزالي مفاجأة بأن يقول: «إن مصاب الإسلام يكمن في المدافعين عنه، فإسلامنا الجميل بضاعة ثمينة، لكن المؤسف أنها وقعت في يد تاجر خائب»!! ويذكر شيخنا الجليل ما يؤكد وجهة نظره.. نبينا يوصي بأن تذهب النساء إلى المساجد غير متعطرات ولا متبرجات، لكن أحد الأئمة في شرحه للبخاري يرى أن تذهب النساء إلى المساجد في ثياب المطبخ!! وفيها روائح البقول والأطعمة!! وغيره يرى ألا تذهب أبدا!! فأي الفريقين شر من صاحبه على الإسلام»؟؟

وفي البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام أجاز أن يسلّم الرجال

على النساء وجاء فيه أن الرسول قال لعائشة: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام» وكان في صورة رجل. فجاء من يقول: «ذاك عند أمن الفتنة! أو ذاك مع النسوة المحارم أو العجائز أو الدميمات»!! ومع ورود سنن بسلام الرجال على النساء أو النساء على الرجال فقد كان جهد الشرّاح وقف العمل بها على أي صورة!! وكلما امتد الزمان زادت هذه الشروح قوة حتى ألغت الأصل الذي كان موجودًا في العهد الأول من الإسلام وأحلت مكانه التفسير المتشائم المغشوش!!

ويقول شيخنا تعليقًا على ذلك كله: «إن لأعداء الإسلام في بلادنا رجالًا مهرة يفتحون ألف طريق لأولئك الغلاة حتى يسود صياحهم الساحة الإسلامية، ويتهم ديننا بالتشدد ويتأمل أولو الألباب فيما يقال، ثم يقررون ترك الإسلام كله»!!

## راكدة ووافدة!

من أهم مواصفات المرأة القدوة التمسك بتعاليم إسلامنا الجميل، والذي يحول دون ذلك في الكثير من الأحيان تقاليد ما أنزل الله بها من سلطان شرقًا وغربًا! والعلاقة بينهما تقوم على العداء والتضاد على طريقة منكر ونكير! وكل منهما رد فعل للأخرى! و«الراكدة» ترفع تقاليد المجتمع وقوامها عقلية الرجل الشرقي ورغبته في السيطرة على المرأة إلى مرتبة تعاليم الدين! وهكذا يختلط ديننا بأمور غريبة عليه! وعقلية سي السيد تأخذ طابعًا إلهيًّا! فسيدتي الجميلة يجب أن تكون أداة طيعة في يد سيدها أو بعلها باسم الإسلام!

ويثور الكثيرون ويحتج أولو الألباب على التقاليد الراكدة! وبدلًا من العودة إلى إسلامنا الجميل تراهم يرتمون في أحضان «الوافدة» القادمة من بلاد الخواجات! وإذا كانت المرأة الشرقية تسير خلف الرجل ومن حقه أن يضربها دون أن تحتج! فهي عند الأمريكان والأشقاء الأوروبيين تمشي أمامه! ومن حقها أن تخرب

بيته خاصة إذا تم الطلاق، فهي تأخذ نصف ممتلكاته وربما أكثر بحجة أن حواء لا تقل في قيمتها عن آدم! وقرأنا عن تعويضات للطلاق تبلغ ملايين الدولارات!

ولذلك تجد العريس الذكي هناك يضع شروط الانفصال قبل الزواج! وبين الراكدة والوافدة تجد إسلامنا الجميل ضائعًا والتقاليد الأوروبية عندما تغزو المجتمع يحدث رد فعل يتمثل في تنشيط «الراكدة» لمواجهة «الوافدة»! وهكذا ترى معي أن كلًا منهما تخدم الأخرى! والإسلام الصحيح يرفض الاثنين معًا! ومكان سيدتي الجميلة بجانب رجلها، فهو لا يقبل أن تكون خلفه على طريقة «الراكدة» أو أمامه بعقلية «الوافدة».

## إنها حرة!

جاء في الحديث النبوي الشريف: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه.. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادًا كبيرًا».

اتصل بي رجل متديّن يشكو من ابنته وهي بالمناسبة محجبة، فقد تقدم لها إنسان متدين وناجح وعلى خلق، فرفضته بحجة أنه لم يدخل قلبها! وكان يتوقع مني خاصة بعدما استشهد بكلام سيدنا النبي أن أنحاز إليه وانهال على ابنته باللوم والتقريع! لكنه فوجئ بما لم يتوقعه! سألته عن سنها وهل دق قلبها لشخص آخر؟ وكأن أسئلتي تلك نزلت كالدش البارد على حضرته! فأجاب ببرود أن فلذة كبده إنسانة واضحة وصريحة وعلى خلق ولو كان هناك إنسان في حياتها لأخبرته بذلك، فالعلاقة داخل الأسرة تسمح بهذا الأمر! وعمرها يقترب من ٢٧ سنة. وبصراحة يخشى أن يفوتها قطار الزواج وتصبح عانسًا! ثم سألني بنوع من الحدة عن أسباب تلك الأسئلة؟؟ ألا يكفي حديث سيدنا النبي، صلى الله عليه وسلم، ليضع حدًا لأي مناقشة!! أنا بصراحة زعلان من ابنتي، ولولا أنني

أحبها لخاصمتها وقاطعتها! أحوالها «مش عجباني»! أضاعت عريسًا لقطة! ولا أدري كيف تفكر؟

قلت له مداعبًا: «الحمد لله أنك «راجل طيب»! أي واحد مكانك كان سيرغمها على الزواج من هذا الرجل الصالح! ويستشهد بالحديث النبوي وهو صحيح ١٠٠٪». لكن من العيوب الأساسية للمتدينين أنهم يركزون على جانب واحد من جوانب ديننا يتفق ووجهة نظرهم ويتناسون بقية تعاليم إسلامنا الجميل! فسيدنا النبي الذي أورد هذا الحديث هو ذاته الذي رفض أن تتزوج حواء رغمًا عنها! وجعلها شخصية مستقلة، وهي حرة في اتخاذ قرارها ما دامت قد بلغت سن الرشد وصاحبة دين وأخلاق! الزواج قسمة ونصيب وقسمتها لم تأت بعد.

## الحب أعمى

هذه حقيقة تتأكد يومًا بعد آخر! والطلاق بين الشباب يؤكد ذلك! ترى العديد منهم تزوجوا بعد قصة حب رومانسية تنافس روميو وجولييت عند الخواجات أو قيس وليلى عندنا! بل تجد بعضهم تحدى أهله وصمم على الزواج لمن يدق إليها قلبه رغم معارضة أسرته لأسباب يرونها، ونصائح من طراز: «يا بنتي اعقلي... ده واحد مختلف عنا»! أو «يا بني لا تلهث وراء عواطفك.. هذه العروسة إنسانة مادية.. عايزة تستغلك وتقشط «فلوسنا»! دي مصيبة مش جوازة»! لكن راية العصيان التي يرفعها الابن أو الابنة تنتصر في النهاية ويتم الزواج وعند الأهل مرارة الهزيمة! والمفاجأة الكبرى طلاق بعد سنوات قليلة من الزواج بعد إنجاب طفل! من زيجة فاشلة! والسبب معروف ويتمثل في كلمتين بالضبط: الحب أعمى!

وقد تظن حضرتك أن ما أقوله كلامًا إنشائيًّا يصلح للروايات، فماذا يعني أن الأعمى عاشق ولا يرى؟ والإجابة: إنه يكتشف حقيقة

من أحبه في وقت متأخر! فالرومانسية والكلام الجميل،والفرحة التي تأخذك إلى عالم آخر وأنت تلتقي بقصة عمرك وحبك الذي انتظرته طويلًا، وكل هذه المشاعر الرقيقة تجعل أقدامك غير ثابتة على الأرض، ولا ترى العالم النكدي الذي نعيش فيه! وتظن أنك تعرفت على الملاك مع أنها إنسان أو شخص عادي جدًّا، لكن حضرتك أعمى ولا ترى عيوبه بسبب الكلام المعسول! فالعاشق قد يكون في غيبوبة لا يفيق منها إلا عند الزواج! والنتيجة خسران مبين! والحل موجود عند ربنا وتلك الجملة ليست موعظة بل هي حقيقة! فإذا كنت محظوظًا فسيدق قلبك وعقلك شغال! وهكذا تحب وتتزوج بالعقل والقلب معًا وتضمن السعادة التي يفتقدها الكثير من أبناء آدم وبنات حواء.. ففي الحب والزواج أنت وحظك يعني الأمر يتوقف على المشيئة الإلهية ومن مر على زواجه أكثر من ربع قرن زي واحد من أمثالي! عليه أن يقول شكرا يا ربي ألف مرة بل مليونًا!! ويا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

## من النظرة الأولى!

معظم الناس لا يؤمنون بالحب من النظرة الأولى، فهو في رأيهم كلام فارغ لا يوجد إلا في الأفلام العربي!! أو الأغاني العاطفية مثل أغنية «صدفة» للمرحوم عبد الحليم حافظ الذي غنى قائلًا: «صدفة لقيتني اتغير حالي واتبدلت لوحدي في ثانية»! فهل هذا معقول؟

وعندي وجهة نظر في هذا الموضوع على طريقة إسلامنا الجميل بين أصحاب العقول والقلوب.. فإذا كان العقل يحكم باستحالة أن يقع الإنسان في الحب من النظرة الأولى! فالقلب يؤكد بدوره أنه «لا يعقل» أبدًا أن يكون اللقاء الأول مع حبيب العمر لقاء عاديًّا زي أي واحد ثاني!! لا بد أن يكون هناك فارق بين هذا الإنسان الغالي وغيره! وفي يقيني أن اللقاء الأول يمكن أن يكون بداية أو شرارة الحب أو مقدمات حدث عظيم في حياتك وبعد كده أنت وحظك! فالأمور يمكن أن تتطور بطريقة إيجابية تنتهي إلى فرح «وتبات ونبات وصبيان وبنات»!! وألف مبروك يا سيدي! أو على العكس تمامًا تكون حضرتها كارثة عليك ليس فيها مواصفات

سيدتي الجميلة بل مصيبة جاءتك عن طريق السم في العسل! أو شاب جاءك يا سيدتي خدعك بكلمتين وطلع «فالصو» بعدما حرق قلبك وهو لا يساوي ظفرك، وأنت تستحقين أفضل منه! وهذه الحالة تنطبق عليها الحكمة القائلة: «ومن الحب ما قتل»!

وهناك نوع ثالث من الحب أهم ما يتميز به أنه محلك سر!! ولا يتطور! يقوم فقط على الرومانسية والكلام المعسول وسهر الليالي، فهو ليس بالحب الواقعي الذي يتطلع إلى المستقبل! وتلك العاطفة النبيلة.. أقصد الحب والزواج تلعب فيها المشيئة الإلهية الدور الأول.. فمن النظرة الأولى يدق قلبك وأنت وحظك بعد ذلك، وأرجو أن تكون سعيد الحظ وربنا راضٍ عنك.

## الزواج بدري!

لاحظت أن هناك من يفكر بطريقة لا تعجبني وتحتاج إلى إعادة نظر! يقول هذا الرأي «ما فيش زواج للبنت قبل أن تنهي تعليمها»! وإذا سألته عن السبب رد قائلًا: «لا بد أن تحصل على شهادة أولًا وفي هذا الوقت قد تكون نضجت وكبرت!» والغريب أن أي إنسان معترض على هذا الكلام رجعي ومتخلف كمان! مثل أي واحد زي حضرتي!! ووجهة نظري أن الجيل السابق من الأمهات تزوجوا بدري وكانوا أسعد حالًا، وعلى الفور ستجد من يقول لك: «الدنيا تغيرت والظرف اختلف! وغير معقول أن تقول: «قول للزمان ارجع يا زمان»!» والأمر عندي يتوقف على العريس الملائم، فإذا دق قلبها له فليس من المنطق الاعتذار بحجة أن البنت لسه صغيرة أو «عيّلة» وهي مشغولة بالمذاكرة والدرس والعلم «ومش فاضية للزواج»! وكأن حضرتها عالمة ذرة!! الزواج بدري أفضل طبعًا إذا وجدت الشخص المناسب لها، واختارته بقلبها وعقلها، ولم تكن مجرد عاطفة عمياء أو حب

مجنون! فإذا أنجبت في هذا الوقت المبكر فإنها ستصبح أحلى أم وصديقة لأبنائها.. وهذا الأمر له أهمية خاصة عندما يبلغ الأبناء سن المراهقة. وأخيرًا فإنه من الملاحظ أنه كلما تأخرت البنت في الزواج ازدادت المشاكل وتعقدت الأمور وكثرت طلباتها وفقدت براءتها!!

## لا تعرف شيئا عن عالم الرجال!!

إنني من أنصار زواج البنت بدري.. ويا سلام لو وجدت العريس المناسب وتزوجت قبل أن تبلغ العشرين من عمرها، كما حدث لأمهاتنا أيام زمان! وبالطبع وجهة نظري هذه ستجد اعتراضات شديدة من الناس المودرن! ومعظمهم يبحث عن السعادة في حياته الخاصة دون أن يجدها!!

ومنطق هؤلاء عجيب تراهم مثلا يقولون لك: «البنت لسه صغيرة على الزواج!» وأنا لا أفهم هذا المنطق.. ففي هذا العصر بالذات تجد صاحبة الثمانية عشر ربيعًا من عمرها عاقلة وناضجة «وفاهمة الدنيا» وساعدها على ذلك ثورة الاتصالات، فالعالم الآن عبارة عن قرية واحدة.. فكيف يأتي من يقول: «دي لسه صغيرة وعيلة»؟؟

وهناك وجهة نظر أخرى في رفض الزواج البدري تقوم على أساس: خليها تعيش حياتها، وتستمتع بالدنيا وتكتسب خبرة قبل أن تدخل القفص الذهبي! وهذه دعوة إلى الانحلال ولكن بطريقة

دس السم في العسل! فمن حقها أن تلعب البنت بذيلها! وبعدما تكتسب خبرة في التعامل مع الرجالة، تتزوج وهي ناضجة بدلًا من أن تفعل ذلك وهي ما زالت «قطة مغمضة» لا تعرف شيئًا عن عالم الرجال!! وهو منطق أراه بعيدًا عن إسلامنا الجميل وأخلاقيات الرجل الشرقي وهو يتناسب تمامًا مع فكر الخواجات!!

## سلاح العلم.. وفارس الأحلام

من أسباب عدم الحماس لزواج المرأة المبكر القول بضرورة إكمال تعليمها حتى يكون سلاحًا فريدًا لها في مواجهة غدر الزمان!!

وهذا القول أرفضه لسببين، فليس هناك تعارض بين ليلة العمر وطلب العلم!! ولا ينبغي أن يكون أحدهما على حساب الآخر وطالما وجد العريس اللائق أو فارس الأحلام فالعروس تركب الفرس الأبيض وتكمل تعليمها براحتها.. هكذا تفعل كل بنت ذكية وعلى الفطرة والمهم أن تجد الرجل المناسب وأمهات هذا الجيل فعلوا ذلك! ونساء الزمن الجميل تزوجن مبكرًا قبل أن تتغير المفاهيم وتعيش عصرًا نكدًا اختلط فيه الأبيض والأسود!

والسبب الثاني أن العلم مطلوب في حد ذاته وإسلامنا الجميل يدعو إليه الرجل والمرأة على السواء وسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

أما حكاية أنه سلاح ذو مدفع ودبابة لمواجهة غدر الزمان فكلام يحتاج إلى إعادة نظر!! وحصن المرأة وأمنها في الدنيا ليس شهادة بكالوريوس أو حتى دكتوراه «بل رجل يسعدها» وأولاد يلتفون حولها.. وكم رأينا في حياتنا نساء حصلن على أعلى الدرجات العلمية ومع ذلك تعاني الواحدة منهن التعاسة وتشكو من برودة الجو والوحدة! ولم يفدها سلاح العلم في شيء وكانت لها تجارب عاطفية فاشلة فهي إما مطلقة أو عانس!!

وحتى لا يحاول أحد الاصطياد في الماء العكر فإنني أقول من جديد: إن تعليم المرأة أمر بالغ الأهمية بشرط ألا يكون على حساب زواجها ومن هذا الذي يرضى بامرأته جاهلة؟؟ والحب الحقيقي قوامه القلب والعقل معًا! فإذا كان عقلها خاويًا فقدت العاطفة النبيلة إحدى مرتكزاتها ولو رأيت امرأة حاملة للدكتوراه وسعيدة في بيتها فاعلم أنك أمام إنسانة عظيمة امتلكت الدنيا كلها.

## جميل جمال!

في أواسط الخمسينيات من القرن العشرين ذاعت شهرة أغنية للمطرب الراحل فريد الأطرش رحمه الله مطلعها: «جميل جمال.. مالوش مثال.. ولا في الخيال..»، وهذه الأغنية الجميلة فيها بعض المبالغات ولا مانع من ذلك، فهكذا الرومانسية والحب يختلط فيه الخيال بالواقع! لكنني أتوقف عند «جميل جمال» وأتساءل عن مواصفاتها.. قد يظنها البعض أنها صاحبة الجمال الصارخ! وهذا ما أعترض عليه فإذا كانت جميلة ولكنها امرأة لعوب، فإنها تصبح لعنة ومن يقترب منها يحترق! وبدلًا من أن ترفعه فوق وينجح بفضلها تهوي به إلى الحضيض وتكون السبب الرئيسي وراء فشله في الدنيا والآخرة كمان!! وعليه أن ينقذ نفسه ويعود إلى ربه قبل فوات الأوان.. فالجمال يجب أن يكون توأمه الأخلاق وإلا كان خراب البيوت!! وفي اللغة العربية لاحظت أن هناك كلمتين بينهما تشابه عجيب من الناحية اللغوية لكن الفرق بينهما شاسع في الواقع، ويتوقف الأمر على «جميل جمال» الذي يكون من نصيبك.. ومن

فضلك أطلب من حضرتك التدقيق في كلمتي نعمة ونقمة وأراهن أن الدهشة ستصيبك من التطابق شبه التام بينهما، ثم أنت وحظك بعد ذلك.. إما نعمة، أو نقمة حب شريك العمر.. جميلة وإنسانة فاضلة تعرف كيف تسعدك أو امرأة يراها «الرجالة» مثيرة ولكنها تودي بكل من يقترب منها إلى التهلكة، وهو يستحق ذلك لأنه ألقى بنفسه في النار بإرادته! يعني«مدب» باللغة الدارجة!

## التدين والحلاوة!

قد تظن لأول وهلة أن هناك علاقة طاردة بينهما: اجتماع الإيمان والتقرب إلى الله.. والمرأة الحلوة أمر مستحيل! ففي نظر هؤلاء لا بد أن تكون سافرة حتى تكون جميلة وصاحبة شياكة! وهذا الرأي لا أحترمه! والسبب: إنه ينظر إلى الجمال بطريقة مادية بحتة بعيدًا عن الأخلاق والقيم والمبادئ! وهذا الأمر يسيء إلى حواء وهي بهذه العقلية مجرد شهوة يستمتع بها الرجل!

وإسلامنا الجميل له وجهة نظر في هذا الموضوع وأرى أن ما سأطرحه سيكون مفاجأة لك! فهو يرى أن التدين يزيد من تألق وحلاوة سيدتي ماديًّا وروحيًّا وليس العكس! فهو أولًا: يحميها من ذئاب البشر.. وثانيًا: يعطي لأخلاقها سندًا عظيمًا!

وحــواء بدون أخلاق خطرًا على المجتمع! فهي في هذه الحالة بدون فرامل! وهي المتضرر الأول من ذلك لأنها يمكن بسلوكياتها الطائشة أن تدمر نفسها! ولأنها امرأة لعوب فقد يترتب على مغامراتها خراب البيوت! والتدين يحمي الحلاوة من كل هذا

البلاء، ثم إنه يضع جمالها في موضعه الصحيح! فهي لا تتزين إلا لزوجها والمرأة السافرة تراها آخر حلاوة وهي خارج بيتها!

بينما لا تهتم بنفسها وهي في عش الزوجية! يعني عكس منطق الإنسانة المتدينة! والجميلة ذات الصلة الوثيقة بتعاليم دينها ترى جمالها ربانيًّا وتحافظ على هذه النعمة بينما الأخرى تعطي اهتمامًا بالغًا بالجمال الصناعي وأدوات التجميل، وقد يعطي ذلك نتائج عكسية يتمثل في تشويه جمالها الطبيعي! والخلاصة أنك إذا وجدت فتاة متدينة وفيها مواصفات الجمال الطبيعي فإنها في هذه الحالة تستحق تعظيم سلام لأنها تجمع بين الحسنيين.

## حبيب العمر مات منذ أربعين سنة!

منذ أربعين سنة كانت في زهرة العمر وأوج شبابها والآن هي عجوز.. ترى ماذا فعلت بها الأيام؟ لم تستمتع بالدنيا في أحلى سنوات العمر.. داهمتها مصيبة من النوع الثقيل!

مات حبيب العمر وكانت تعلق عليه آمالًا كبيرة ولم يمت «فطيس» أو في حادثة سيارة! ولكنه مات والحمد لله أحلى موتة يمكن أن يتمناها إنسان في حياته! ذهب شهيدًا دفاعًا عن الوطن وكان ذلك في كارثة سنة ١٩٦٧! صحيح إن بلادي لقيت هزيمة ساحقة ولكن هؤلاء الشهداء الذين لقوا ربهم أدوا واجبهم كأفضل ما يكون.. وقاتلوا حتى آخر طلقة! والحمد لله أن رفيق العمر كان متدينًا ويعرف ربنا جيدًا ولذلك كان سعيدًا وهو يلقى ربه فالجنة مثواه بإذن الله! لكن ماذا عن هذه «الوردة» التي تعلقت به وكانت تحلم بحياة سعيدة معه؟ هل ذبلت وماتت في الدنيا رغم أنها تعيش؟ أم أنها نجحت في إقامة حياة جديدة واحتسبت حبيبها عند ربها وهي سعيدة لأنه مات شهيدًا فهو بالتأكيد «يعيش» حياة أفضل

وأجمل من تلك الموجودة على الأرض ولكن الفراق صعب وقد نجحت، والحمد لله، في التغلّب على أحزانها.. وهكذا حال الدنيا!

والإيمان بالله يلعب دورًا محوريًّا في الصمود والثبات في وجه الأحزان وتقلبات الأيام..

فإذا كانت سيدتي الجميلة قريبة من ربنا فإن هذا سيعطيها قوة وروحًا معنوية عالية في مواجهة الكوارث.. فهي تعلم أن كل إنسان مصيره الموت.. وصدق من قال: «أنتم السابقون ونحن اللاحقون»! أما لو كانت غير متدينة ولا تصلى إلا في المناسبات! وبعيدة عن تعاليم السماء فإن الفراق المفاجئ لحبيب العمر كافٍ لتحطيمها.. حتى ولو مات شهيدًا! وهكذا يتضح لك أن الإيمان بالله مهم جدًّا في حياتنا الدنيا بالإضافة إلى ثماره في الآخرة عندما تذهب إلى ربك وأنت فرحان بلقائه.

## آية قرآنية «فهمناها غلط»!!

تحدثت عن آية قرآنية غير مطبقة في حياتنا، وتجدها في سورة النساء وهي تحديدًا الآية رقم ٣٥: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ وحضرتك شاهد على أن هذه الآية لا مكان لها في حياتنا! فالطلاق إذا حدثت خناقة أسرع من البرق خاصة في الأجيال الجديدة!! ولا حالة لمجلس إنقاذ من حكماء العائلة!!

وقبل تلك الآية مباشرة تجد كلامًا ربانيًّا آخر ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾! وأسأل حضرة القارئ عن تطبيق تلك الآية في حياتنا مع أنها مفتاح الحياة الزوجية!

ومعظم الناس لم يحسنوا فهمها وبالتعبير العامي «فهمناها غلط» وصدق أو لا تصدق ترى ابتسامة ساخرة من بعض الشباب «الصايع» عند ذكر هذا الكلام القرآني أمامه وأستغفر الله ألف مرة

ولا أستطيع أن أعذره وهو يقول: «قوامة الرجل على المرأة كان زمان الدنيا حاليًا اتغيرت والمساواة هي الأساس بين آدم وحواء» وهذا الكلام يدل على أنه جاهل كبير فضلًا عن أنه يستحق التوبيخ مع «قلمين» على تلك السخرية الصادرة منه وأنصحه بالأدب وأن يستمع للقرآن وأقول للقارئ احترس من هذا الذي يستهزئ بتعاليم السماء فهذا الشخص لا أمان له ويمكنه بسهولة أن يعطيك مقلبًا في أول تعامل مادي بينكما.

وفي مقابل هذا الصنف من الناس تجد آخرين دقة «قديمة» الواحد منهم يظن أن قوامة الرجال على النساء تعطيه حقًا مطلقًا في التعامل مع امرأته فهو ديكتاتور داخل بيته! أو قل فرعون وكلامه أوامر وإذا خالفت زوجته أوامره فمن حقه أن يضربها لأنها تجرأت على ذاته العليا.

والغريب أن الضرب والتلطيش يتم باسم قوامة الرجل على المرأة وهكذا يتأكد لك أن إسلامنا الجميل مظلوم في عصرنا النكد.

## نشوز يعني إيه؟؟

عندي يقين بنسبة ١٠٠٪ أن عدم فهم المسلمين لدينهم هو السبب الأساسي لتخلفهم! ولا أريد الدخول في جدل! أو الحديث على الطريقة البيزنطية لتأكيد وجهة نظري! بل تكفيني أمثلة عملية، وقد بدأتها بالفعل وركزت على ربع صفحة من القرآن الكريم وربما أقل!!

وفيها آيتان تبدأ أولهما: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾. وتنتهي ثانيتهما بقوله تعالى ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾.. ومن فضلك «اتعب معايا شوية» وافتح المصحف على سورة النساء بالجزء الخامس من القرآن وتحديدا الآيتين ٣٤ و٣٥.

وهذا الكلام الرباني المتمثل في آيتين فقط فهمهما جمهور المسلمين غلط ثلاث مرات!! فهناك «طناش» في حياتنا على قول القرآن الكريم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾! وأي خناقة حامية الوطيس بين الزوجين كافية جدا في عصرنا النكد لنسف

الحياة الزوجية دون إعطاء فرصة لتدخل حكماء العائلة من أجل الصلح وعودة المياه إلى مجاريها! وبدء حياة جديدة بين شركاء العمر قوامها عسل بعد بصل!!

«والطناش» على هذه الآية الكريمة يضاف إليه فهم غلط جديد للآية التي تسبقها مباشرة ويظهر ذلك في موضوعين أولهما قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾. فهناك الأزواج الذين يقال عنهم «مودرن» لا يعترفون بهذا الأمر بحجة أننا في عصر المساواة! وفي مقابلهم تجد عقليات سي السيد والواحد من هؤلاء يطلب من زوجته أن تكون خادمة له!!

وهناك نصائح قرآنية للزوج في حالة نشوز امرأته ولكن «البيه» الرجل فهم ذلك بطريقة خطأ! وظن حضرته أن النشوز يعني أن تكون لزوجته وجهة نظر مخالفة له فهو يريد أن تطيع أوامره عمياني!! وهذا الرأي بالطبع أراه نشازًا!! مما يدفعني إلى التساؤل عن معنى نشوز المرأة؟؟

## البنات والصيف!

في المصايف وعلى البلاجات ترى البنات أنواعًا ثلاثة، وسلوكهن لا يختلف سواء كنا في شهور الصيف أو الخريف وحتى في عز الشتاء!! مع ملاحظة أن يوليو وأغسطس بالذات قد يشهدا تحررًا مبالغًا فيه بحجة أننا في إجازه من كل حاجة!!

والنوع الأول من الفتيات، ما شاء الله عليه، محترم في كل الأحوال وكل واحدة منهن نموذج جميل لبنت البلد المصرية الأصيلة وتستحق تعظيم سلام من حيث الاحترام والسلوك الطيب والأدب والأخلاق والحرص في ذات الوقت على الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا.

وهناك نوع آخر من النساء الواحدة منهن تستحق «قلمين» فهي باسم الصيف تراها ترتدي ملابس خليعة! وسلوكها غير منضبط لأنها ماشية على حل شعرها! ويتحمل الأهل جزءًا أساسيًّا من مصائبها! فقد أرادوا لها أن تكون بنتًا مودرن وهم حاليًا يدفعون الثمن لأنهم أخذوا من العالم الأوروبي والأمريكي أسوأ ما فيه..

أقصد الانحلال والتقاليد التي لا تتناسب أبدًا مع أخلاقيات بلادنا.. فهذا النوع من بنات حواء أبعد ما يكون عن سيدتي الجميلة بمواصفتها الحلوة.

وأخيرًا هناك بنات يحكمهن التزمّت فهمن الدين بطريقة خاطئة فإسلامنا الجميل يقول إن الدنيا حلال، والمكروه والحرام على سبيل الاستثناء! وتلك العقلية الضيقة تقول العكس!! مع ملاحظة أن كلمة مكروه مشطوبة من قاموسهم! فالحرام هو السائد بطريقة تجعلك تغرق الدنيا.. وأقول لهم: يا ناس حرام عليكم! وأختم بالآية القرآنية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

## الزوج.. من مجني عليه إلى جانٍ!

بدأت الحديث عن الآية رقم ٣٤ من سورة النساء التي تعالج حالة مؤسفة في الحياة الزوجية وتتمثل في نشوز شريكة العمر! وبدلًا من أن تكون نعمة على حضرتك أصبحت نقمة، ومن فضلك لاحظ التشابه الشديد جدًّا بين الكلمتين، فالفارق بينهما لا يكاد يذكر مع أن نعمته تقودك إلى جنة في الأرض، أما الثانية فهي نار تكتوي بها لا قدر الله، وتصبح صداعًا دائمًا يحتاج إلى علاج أوضحه كتاب الله، وقبل تقديم الروشتة القرآنية المتمثلة في أدوية ثلاث، تعال معي لنتفق أولًا على تشخيص المرض بدقة، وتحديد العلة! فإن الدواء إذا استخدم في غير موضعه فإنه يؤدي إلى مضاعفات خطيرة، وهذا ما رأيناه بالفعل في حياتنا المعاصرة.. وفي الآية الكريمة تجد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، وقد فهم البعض ذلك على أنه تمرد على أوامر سعادة البيه الذي يريد أن يتعامل مع امرأته بعقلية سي السيد أو فرعون في الأرض وهذا خطأ كبير فزوجتك شريكة عمرك وليست خادمة عند سيادتك! ولذلك

قال العلماء الثقات من أنصار إسلامنا الجميل إن النشوز هنا يعني التمرد على الحياة الزوجية كلها، وليس مجرد عصيان أمر من أوامر الزوج، بل إن الحياة معها أصبحت لا تطاق، فهي نشاز بالفعل! وهنا يقدم ديننا أدوية ثلاث لعلها تؤدي إلى الشفاء وعودة حياتك من جديد سمن على عسل بعدما كانت شطة وفلفل!! فالزوج العاقل يلجأ أولًا إلى النصيحة، ويتبعها - إن لم تفلح - بالهجر في الفراش وأخيرًا ضربها ضرب غير مبرح! فإذا قام مثلًا بتحطيم كرسي على رأسها!! أو أصابها بجروح خطيرة فقد ارتكب إثمًا مبينًا، وتحوّل الزوج في هذه الحالة من مجني عليه إلى جانٍ!! أو ظالم بعدما كان مظلومًا! وفي الضرب عندي كلام كثير ذو شجون.

## العيب بين الشباب والصبايا!

خلال موسم الإجازات لاحظت أمرًا عجيبًا قد يصل إلى حد الظاهرة، يتمثل في أن العيب عند العديد من الآباء والأمهات ينقسم إلى قسمين: قسم خاص بالشباب والآخر يتعلق بالجنس اللطيف أو الصبايا بلغة أهل الشام. وأشرح ما أعنيه قائلًا: إن الشاب يرى أنه لا حرج عليه في ارتكاب العيب مثل المعاكسات والسهر حتى الفجر! والصياعة على الشواطئ! واستخدام كلمات بذيئة والذهاب إلى الأماكن المشبوهة! وباختصار لا مانع من اكتساب خبرة مع النساء! وأن يكون له تجارب في الدنيا. لكن هذا كله غير متصور للفتيات مع أن أشقاءهن من الشباب لهم حرية العبث.

أما بنات العائلات فعيب وحرام وعليهن قيود مشددة! ولا يتصور واحدة محترمة تدخل سريرها عند الفجر! أو تذهب إلى مكان فيه اختلاط ماجن! فالأهل يقفون لها بالمرصاد «وتبقى واقعتها سودة» إذا فعلت ذلك! وهذه الصرامة في التربية لا تجدها بذات القدر في التعامل مع الولد! فهو قد يباح له أمور ممنوع على أخته الاقتراب

منها! وإسلامنا الجميل يرفض هذه العقلية لسبب بسيط ومنطقي يتمثل في أن العيب واحد لا يتجزأ! وغير معقول أن تكون هناك أمور في الأخلاق حلال على الرجالة وحرام على النسوة! فالغلط واحد ولا فرق بين أن يرتكبه شاب مراهق وبنت حلوة!

## عندك في رمضان ثلاثة اختيارات

كل عام وأنتم بخير.. شهر الصيام يطرق الأبواب قائلًا: «اصحى يا نايم.. وحد الدايم» وفي رمضان تستطيع سيدتي اختيار سلوك من ثلاثة اختيارات مطروحة على «حضرتها»! وكل واحد منها يدل على شخصية صاحبتها:

* وأول هذه الخيارات التفرغ الكامل للعبادة وصلاة التراويح بالمسجد ومحاولة ختم القرآن الكريم كله قراءة وفهمًا، وهي في هذه الحالة تستحق عشرة على عشرة، وتنطبق عليها مواصفات سيدتي الجميلة بسلوكها المتدين الرفيع.

* وهناك مفاجأة أقدمها تتمثل في الاختيار الثاني، في إنسانة تجمع بين الدين والدنيا.. فهي حريصة على التقرب من ربها، لكنها لا تنسى في الشهر الكريم الواجبات العائلية، وتوطيد الصداقة مع المقربين منها بحفلات إفطار شهية، ولا مانع أيضًا من مشاهدة التليفزيون وما فيه من مسلسلات وبرامج بعد الانتهاء من الإعلانات، وهي تختار كل ما هو

مفيد لها، وتبتعد عن السطحية والهيافة، وهذه النوعية من بنات حواء أيضا أراها جديرة بكل احترام مع تعظيم سلام!

* وأخيرًا تجد بنات على الموضة!! رمضان عندهن إضراب عن الطعام والشراب في الصباح، وتعويض هذا الحرمان عند المغرب مباشرة. والشهر الكريم فرصة للسهرات الحلوة والفرفشة! إذا قلت للواحدة من هؤلاء إن رمضان فرصة للتوبة وبدء حياة جديدة مع ربنا قابلتك بسخرية! وهي تنام عادة قبيل الفجر! ولا تفكر في الصلاة قبل نومها فالدنيا قد جرفتها بعيدًا ونسيت ربنا والحياة التي تنتظرها في الآخرة!

فهي «راسبة» بجدارة! ولا أستطيع شرعًا لعنها أو تكفيرها! بل أقول: «ربنا يهديها» وأتمنى لها «ملحق» ينقذها من السقوط!

## بنات زي الفل!

سأركز كلامي على البنات اللائي تفوقن في رمضان وكل واحدة من هؤلاء بنت زي الفل! وأولى صفاتها في شهر القرآن أننا رأيناها شديدة الاهتمام بالعبادات، تبذل جهدها من أجل ختم كتاب الله كله.. قراءة بتروٍ وعمق وفهم ومن أجل استيعاب كلام ربنا، كذلك استحقت عشرة على عشرة في صلاة التراويح، ورغم أنها فتاة «مودرن» بالتعبير الأفرنجي، لقد حرصت على الصلاة كل يوم بجزء كامل من القرآن.. إيه العظمة دي يا بنات! الواحدة من هؤلاء قادرة على الجمع بامتياز بين الدين والدنيا.. فهي شاطرة هنا وهناك! وعندما تنجح في الجمع بين الحسنيين فإنها تكون حواء بالدنيا، ويكون سعيد الحظ من يرتبط بها. وسيدتي الجميلة رأيناها في رمضان بالذات شعلة نشاط في مطبخها والطعام الذي قدمته «لا بد أن تأكل صوابعك وراه» بالتعبير العامي.. فهو جيد جدًّا ومعمول بذوق رفيع سواء في طريقة إعداده أو تقديمه، باختصار مأدبة فيها «شياكة» حتى ولو كانت صاحبتها واحدة عادية وليست مليونيرة،

لكنها بنت أصول! وبالمناسبة أقول لك إنك تجد في حياتك نساء أصحاب ملايين، مع ذلك ذوق الواحدة منهن سيئ جدًّا فهي من الأثرياء الجدد لكنها أي كلام!

والروابط العائلية أخذت حيزًا مهمًّا من اهتمامات البنت اللي زي الفل في رمضان! وكانت فرصة لتوثيق العلاقات بين الأقارب في حفلات إفطار شهية.

وأخيرًا وجدنا سيدتي الجميلة حريصة غاية الحرص على الابتعاد عن الحرام أو كل ما فيه شبهة وكان بينها وبين الحفلات الماجنة خصام وهي تلك التي تسمى «بسحور بارتي» وتبدأ بعد منتصف الليل وحتى الفجر! ورأيناها كذلك تختار بعناية ما تشاهده في التلفزيون لأنها ببساطة تكره الكلام الفارغ أو الفاضي!! حقا إنها بنت زي الفل.

## دعوات لها في ليلة القدر

عندي دعوات عدة لسيدتي في ليلة القدر.. أدعو لها أولًا أن تكون إنسانة متدينة تعرف ربها جيدًا، فهذا هو مفتاح الخير كله وربنا سيفتح عليها بإذن الله إذا كانت تعرف خالقها بحق وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧).

ودعوتي الثانية لها أن تجد الزوج الصالح، فهذه نعمة كبرى واسأل العوانس والمطلقات لتتأكد من ذلك! والحياة الزوجية عادة لا تخلو من الفلفل والشطة!! أو مشادات وخناقات، ولكن المهم أن المركبة تسير، وهي سعيدة في الأحوال العادية ومعظم الوقت، والزعل من شريك العمر سرعان ما يزول، وتعود السفينة لتبحر في مياه هادئة بعد أن تنتهي الزوابع وأمواج البحر الهائجة!! ويا رب تكون: «حماتك ملاك»! أقصد واحدة بتحبك وتخاف عليك ولا تنحاز لابنها على الدوام ضد زوجته! وإذا كانت حماتك إنسانة طيبة فسيكون هذا الأمر شيئًا رائعًا يساعد على استقرار الحياة الزوجية!

ومن أهم دعواتي لحواء في ليلة القدر أن تنجب أبناء صالحين.

والأمر الأول سهل وهو إنجاب الأولاد، ولكن الثاني تكتنفه صعوبات عدة.. ابن صالح، وبنت عندها أخلاق تتماشى مع تعاليم الدين! إنك قد تبذل كل جهدك في تربية أولادك وتصرف دم قلبك وكل ما في جيبك ثم تشكو من جحود فلذة أكبادك!! وآه من الجحود خاصة إذا جاء من أقرب المقربين!!

وتنشئة أبنائك بطريقة صحيحة تحتاج إلى توفيق كبير من ربنا.. إنها دعوات ثلاث وخلاصتها في النهاية إنسانة جميلة قوامها التدين وزوج صالح وأولاد رائعون.

## الحب الأول أنواع!

أريد التحدث معك عن نوع معين من الحب الأول يرفع صاحبه إلى السماء ويؤدي إلى انضباط حياته طول عمره! وقبل الدخول في التفاصيل أتطرق أولًا إلى الحب الأول الشائع بين الناس ومواصفاته. والعاطفة نحو الجنس الآخر تبدأ التحرك مع بداية المراهقة، وترى البنت الصغيرة تستغرق في الأحلام وتعرف سهر الليالي، والأغاني الرومانسية.. وإذا بحثت في حالتها بدقة ستكتشف أنها تتعلق بوهم!! طرق باب قلبها بكلمتين حلوين، ففتحت له بابها وظنت أنها وقعت في الحب! وتعجبها أغنية: «أول مرة تحب يا قلبي» للمرحوم عبد الحليم حافظ! وبعد فترة قصيرة أو طويلة تكتشف أن ما كانت تفعله لعب عيال! ربما تسخر منه وفي كل الأحوال تظل ذكرى عزيزة تحت اسم الحب الأول.

وهناك حالات استثنائية أراها بمثابة معجزة، وتتمثل في أن ينتهي لعب العيال هذا إلى الزواج!! ويثبت أنه قادر على تحمّل المسئولية! وهو بالتأكيد إعجاز لأن «الولد الصغير» أكد أنه «راجل» والحب الأول عادة ما يقوم على سراب، لكنه هنا يثبت أنه حقيقة!

الوهم تحول إلى واقع! وعاطفة المراهقين تعتمد بالدرجة الأولى على القلوب والمشاعر الجميلة، بينما تجد العقل ترتيبه متأخرًا فإذا أثبت الحب الأول أنه جاد وأنه صالح للعمر كله، فهذا خروج على المألوف ويستحق أصحابه كل تقدير واحترام ومع تعظيم سلام كمان!

وفي بلاد الغرب بأوروبا وأمريكا فقد الحب الأول قيمته وعذريته أيضا! فكل بنت تفتخر بأن عندها «بوي فرند»! والبراءة ضاعت قيمتها تماما هناك واختفت المشاعر النبيلة، وغرضها من الصحبة أن تشبع منه! وبعد ذلك تتركه وتبحث عن غيره، ومن فضلك انتظري لأنني أريد التحدث معك عن الحب الأول الذي أقصده، والذي يختلف بالتأكيد عن كل هذا العبث!

# حبك الأول عظيم جدًّا

تحدثت عن الحب الأول المعروف عند الصبايا والمراهقين! ويلاحظ أن كلمة «الصبايا» مستوردة من بلاد الشام!! فهي عندهم تعبير عن البنات! وإلى جانب هذا النوع من العاطفة هناك حب عظيم جدًّا فريد من نوعه إذا وقعت في هواه أنت محظوظ وبالتأكيد فيظل ملازمًا لك طوال عمرك لا يدانيه أي حب آخر، وله إيجابيات عديدة أذكرها لك باختصار لتكون بمثابة «فزورة» لحضرتك!! وأظهر أنك ذكي بما فيه الكفاية لتعرف أي نوع من الحب أقصده.

وأول ما يلاحظ أن تلك العاطفة السامية تتميز بعطاء عظيم وتنعكس على كل من حولك فتحب حتى الحيوانات والجماد فهو«بحر» من الحب أو قل «محيط».

والأمر الثاني: إنه يضبط حياتك، وحبك له يدفعك للابتعاد عن الغلط والحرام! فإذا ارتكبت منكرًا فإن ضميرك الصاحي سيدق لك جرس إنذار لتستيقظ من غفلتك وتعود إلى رشدك.

والأمر الثالث إن هذا الحب يجعلك تتفوق في حياتك لأن حبك العظيم هذا يرفض أن تكون فاشلًا..

وسيدتي الجميلة التي استقر هذا الحب الكبير في قلبها ستكون إنسانة تتميز بالعطاء لزوجها وأولادها وبيتها والدنيا كلها وتكون في هذه الحالة حواء بالدنيا تستحق تعظيم سلام.

وأخيرًا فإن مجتمعنا يشكو من الأحقاد والأنانية والكلام البذيء، وانعدام الأخلاق والحب الذي أقصده أراه الدواء الشافي وهو قادر على إصلاح الكون كله.. هل عرفته؟

## آه من التدين الفاسد!

إنه يسيء إليها وإلى الدين كله، أستغفر الله، وإمام عصره الشيخ محمد الغزالي تحدث كثيرًا عن التدين الفاسد، وهو أمر يبدو غريبًا وفيه تناقض فالتقرب من الله أعظم شيء في الدنيا فكيف تكون بعض صوره فاسدة؟ والإجابة: إن ذلك يتحقق عندما ينظر الإنسان إلى تعاليم السماء بطريقة فوضوية.

ويشرح شيخنا الجليل ما يعنيه قائلًا: «إسلامنا الجميل له قواعد وأصول وهناك ثوابت وأركان وإلى جانب ذلك تجد أمورًا مستحبة والحديث الشريف يقول: الإسلام بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها «لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»!

وفي التدين الفاسد تجد الأعلى في مرتبة متأخرة!! والعكس صحيح! وترى اهتمامًا فائقًا بالشكل على حساب الجوهر والاهتمام الكبير بالأمور الثانوية على حساب أسس الدين الراسخة! فالإسلام دين الحرية والعدالة الاجتماعية وهو الذي رفع من شأن المرأة وجعلها مساوية للرجل، ولأول مرة في التاريخ يعطي لها باسم

الدين ذمة مالية مستقلة عن زوجها ويكون لها الحق بالاحتفاظ باسم عائلتها عند زواجها وهو أمر لا تعرفه العديد من البلدان الأوروبية حتى اليوم!

لكن هذا كله لا تجد له أثرًا في خطاب التدين الفاسد! إنما يتركز اهتمامهم على أمور تأتي في ترتيب متأخر من الأولويات التي يجب مناقشتها.. مثل مصافحة النساء حرام أو حلال مع كلام واسع عن مواصفات الزي الشرعي التي يجب على حواء ارتدائه! مع أن الأمر لا يحتاج إلى كلام كثير، يكفي سطرين فقط! وبالطبع تجد تشجيعا سافرا للتغلب على حساب الزي الشرعي المتمثل في الحجاب، والشيخ الغزالي رحمه الله يقول: «النقاب عادة وليس عبادة»! وإذا ارتدته فأهلا وسهلا ولكن ليس من حقها إن تقول إنه زي إسلامي!!

## امرأة خلدها التاريخ

السعي بين الصفا والمروة من شعائر الحج، وسألت نفسي كم من الحجاج يعرفون قصة تلك الشعيرة وبطلتها امرأة فريدة من نوعها لقد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه بطريقة لم يسبقها أحد من قبل، إنها لم تخلد في بطون الكتب فحسب، بل إن السماء اختارت ما فعلته ليكون أحد العلامات البارزة لركن أساسي من أركان ديننا، وأقصد الحج، اسمها هاجر وحكايتها تبدأ عندما انطلقت مع زوجها أبي الأنبياء إلى الصحراء، وكان معهما ابنهما الرضيع «إسماعيل»، وبالقرب من مكة صدر إلى الأب أمر إلهى بأن يتركها مع وليدها في تلك الصحراء القاحلة ويعود وحده..

تقبلت زوجته هذا الأمر برباطة جأش رغم أن هذا الأمر يعني للوهلة الأولى الحكم عليها وعلى ابنها بالإعدام!

سألت زوجها: أالله أمرك بهذا؟ يعني هل هذا أمر من السماء؟ عندما رد بالإيجاب قالت: إذا لن يضيعنا! إننا أمام امرأة فريدة من نوعها كما أخبرتك منذ البداية ولم تستسلم السيدة هاجر لملك

الموت الذي يتربص بها، بل أخذت تسعى بين جبلين في تلك المنطقة القاحلة بين الصفا والمروة بحثًا عن الماء وأخيرًا وبعد طول عناء تفجرت ينابيع المياه في آخر لحظة، وهكذا أنقذتها العناية الإلهية في آخر لحظة من الهلاك المحقق، وتلك القصة فيها دروس كثيرة يمكن أن تفيدنا في حياتنا المعاصرة التي لا تخلو من المتاعب أذكرها فيما بعد إن انشاء الله، ولكن الغريب أن مكانة المرأة عند بعض المسلمين هامشية على طريقة سي السيد!! وعلى النقيض تمامًا من مكانة السيدة هاجر وأمثالها في تاريخ الإسلام!

## ومنها تعلمنا كيفية التوكل على اللّه

تحدثت عن بطولة السيدة هاجر زوج أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكيف واجهت الموقف العصيب وهي بصحراء قاحلة ومعها فلذة كبدها إسماعيل، وقد قام إسلامنا الجميل بتكريمها، وجعل ما فعلته ركيزة أساسية للحج والعمرة إلى يوم الدين وتتمثل في السعي بين الصفا والمروة.

ومن قصتها نتعلم كيفية التوكل على الله حق توكله ومن أول ما يلاحظ في ذلك إيمان مطلق بخالق السماوات والأرض، فلا معنى للتوكل عليه وفي إيمانك به شك!

وتظهر عظمة تلك المرأة وروعة إيمانها عندما قرر زوجها تركها في الصحراء بناء على أوامر إلهية وترك معها وليده الذي أنجبه على كبر ويا له من اختبار قاس لا يصمد له إلا الأنبياء أولو العزم.. لقد سألته سؤالًا واحدًا لا ثاني له: «ألله أمرك بهذا»؟ وعندما أجابها بالإيجاب قالت: إذن لن يضيعنا. ويعني أننا سننجو من الهلاك لأن الله يرعانا!

الأمر الثاني الذي نتعلمه من قصتها إنها أخذت بالأسباب مع أنها واثقة أن الله معها فلم تكتف بالدعاء، بل أخذت تسعى بين الصفا والمروة بحثًا عن الماء حتى تفجرت ينابيع المياه في النهاية. وهنا نلاحظ الأمر الثالث المرتبط بما سبقه وهو عدم اليأس، ففي سعيها بين الجبلين، أقصد الصفا والمروة، لم تكتفِ بالسعي مرة أو مرتين ثم دب الإحباط في قلبها، بل ظلت تبحث عن مبتغاها حتى آخر لحظة دون كلل أو ملل حتى استجابت السماء لها في النهاية.

وعليك إذا كنت تريد التوكل على الله بحق أن يظل عندك الأمل في أنه سيقف إلى جانبك ومهما اشتد الظلم حولك، فستجد نورًا في نهاية النفق! وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ (يوسف: ١١٠). يعني أن النصر جاء في آخر لحظة، واشتداد ظلام الليل يعني قرب طلوع الفجر والمثل العامي يقول: «اشتدي يا أزمة تنفرجي»!

## المحجبات أنواع ثلاثة!

أراهن أن هذا السؤال طرأ على ذهنك وأنت تشاهد مهازل على شاطئ النيل أو حتى في داخل دور العلم، وبطلات تلك المشاهد الخارجة على الآداب العامة من المحجبات!! و«بالعقل كده» إزاي تكون محجبة وعاشقة في ذات الوقت تراها في وضع غرامي مع حبيب القلب بالأماكن العامة دون أي خجل!! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «إذا لم تستحِ فافعل ما شئت» حاجة تحير بالفعل! والرد على هذا السؤال أن المحجبات أنواع وحرام عليك يا حضرة أن تنظر إليهن على أنهن شيء واحد أو أن جميعهن من الملتزمات! وفي يقيني أن المحجبات أنواع ثلاثة.. بنات زي الفل ملتزمات بحق وحقيقي وصورة مشرفة للإسلام! ومن فضلك أرجوك تصدقني عندما أقول لك إنهن يمثلن الأغلبية واطمئن.. معظم بناتنا بخير والحمد لله وصورة حلوة لإسلامنا الجميل. والنوع الثاني نساء يرتدين الحجاب من باب التوفير!!وتظن أن الاعتناء بجمالها سيأخذ وقتًا طويلًا وفلوس كمان! ولذلك

فأسهل شيء أن ترتدي طرحة!! أو «إيشارب» بتعبير الخواجات وهي بذلك تسيء إلى دينها أولًا، ولنفسها ثانيًا... فليس عندها نية الالتزام فلا يعقل أن تثاب عليه! وهذه العينة من بنت حواء من بطلات المناظر الغرامية التي تشاهدها في الشوارع!! ويدخل في هذه العينة أيضا الفتاة التي ترتدي الحجاب رغمًا عنها لأن أهلها أجبروها على ذلك!! ولذلك تجد حجابها في واد وسلوكها في واد آخر مختلف! وأخيرًا فإن هناك بنات ملتزمات، لكن فيه حاجة غلط عند حضرة الملتزمة المتدينة!! فقد تراها متزمتة وتسيء إلى إسلامنا الجميل بتشددها! أو على العكس من ذلك واحدة كانت متبرجة ثم التزمت، ولكنها وقعت في خطأ فظيع عندما ظنت أنها دخلت الإسلام من أوسع أبوابه بارتدائها الزي الشرعي فلم تهتم كثيرًا بتحسين سلوكها والارتقاء بنفسها!!

## بنت زي الفل

المحجبات أنواع.. أغلبية بألف خير، ونوع يرتدي الحجاب على سبيل العادة وليست العبادة!! ونرى كذلك في حياتنا تلك الملتزمة بالزي الشرعي، ولكن سلوكها مش ولا بد!! فهي لا تهتم بتهذيب أخلاقها! وتظن أنها أرضت ربها عندما قامت بستر نفسها فقط مع أن تصرفاتها كلها تحتاج إلى ضبط وربط!

وأركز كلامي اليوم على النوع الأول، ولتعريفه أقول كلمتين فقط «زي الفل»! ولا يصلح هنا تعبير ما قل ودل!! أو الاختصار المفيد!! بل لا بد من شرح ما أعنيه.. أرى الواحدة من تلك النوعية الممتازة فخرًا للإسلام كله، وصورة حلوة لإسلامنا الجميل، فهي قد دخلت إلى إسلامنا من باب السادة وهو تعبير استخدمه إمام عصره المرحوم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وأعجبني، ويعني به أن تلك المحجبة زي الفل بمثابة جيش بأكمله! فهي هنا داعية إلى الله وتدعو ربنا بين غير الملتزمين بطريقة أفضل من كثير من المتخصصين! وأتذكر هنا حكمة إسلامية مشهورة تقول: «حال

رجل في ألف رجل خير من حديث ألف رجل لرجل واحد».. وهذا ينطبق أيضًا على النساء وتلك الكلمة رقيقة وكل حرف فيها له ميزان ودرجة، فأرجو أن تتأملها أكثر من مرة وتتوقف عند كلمة «حال» ويعني السلوك فالدعوة إلى التمسك بتعاليم ربنا لا تحتاج إلى كلام كثير والمطلوب أن يكون الداعية قدوة لغيره ولا ينطبق عليه المثل الشعبي «باب النجار مخلع»! وهذه المحجبة الجميلة سلوكها زي الفل وهذا يكفيها، وليس من الضروري بعد ذلك أن تكون بحرًا في علوم الدين!! أو أن تجيد الخطابة!! المهم أن تكون مثلًا أعلى بين أقرانها! ومن أهم مواصفتها أن تكون منفتحة على الجميع بعيدة عن الانغلاق والتعصب والتزمت، الحلال عندها واسع جدًّا وهو الأصل.. أما الحرام والمكروه فهو الاستثناء! وليس العكس! والغريب أننا نجد بين المتدينات من تؤمن بالنكد باسم الدين!

ولكن من أتحدث عنها عقليتها مختلفة، ومن مميزاتها كذلك أنها شاطرة في كل ما تفعله، وهي تعني ببساطة ـ لكل من حولها ـ أن الإسلام دين الشطارة والنجاح.. إنها بحق بنت زي الفل!

## تساؤلات حول المحجبة العاشقة!!

تحدثت عن المحجبة الملتزمة التي تقدم صورة حلوة لإسلامنا الجميل، وقلت عنها إنها بنت زي الفل، وهي من وجهة نظري تمثل الغالبية بين المحجبات والحمد لله.

وانتقل معك إلى نوع آخر أرى الواحدة منهن صورة سيئة لديننا، فهي لا تسيء إلى نفسها فقط بل إلى الإسلام كله.. ولا أحب الكلام النظري أو من برج عاجي! وأدعوك لتأتي معي في جولة على كورنيش القاهرة، فسترى معظم العاشقات من أهل الحجاب! وذات الأمر على كورنيش الإسكندرية حيث تشاهد الحبايب في وضع رومانسي على البحر!! وبالطبع سيقفز في ذهنك ألف سؤال وسؤال وأنت تتساءل: طيب إزاي؟ وليه؟ وعلشان إيه؟ وإزاي تكون محجبة وتعمل كده؟

والعشق في حد ذاته ليس حرامًا بشرط أن يتفق مع شرع الله والأخلاق وتقاليد المجتمع! أما المواعيد الغرامية والجلسات العلنية الرومانسية فهي مرفوضة وما فيش واحدة تحترم نفسها

تقبل على هذا السلوك! وتلك المحجبة أليس وراءها أهل يقومون بمحاسبتها على سلوكها الطائش؟

والإجابة: للأسف «لا» أو إنهم في غفلة.

والبنت ضحكت عليهم وارتدت الحجاب، فظنوا أنها صالحة بينما فضيحتها بجلاجل وتستحق «قلمين» حتى تعود لرشدها، وتلتزم حقا بالحجاب، فلا يكون حجابها مجرد طرحة تضعها على رأسها!! وهنا يقفز تساؤل: ماذا لو أجبرها ولي أمرها على ارتداء الزي الشرعي بالعافية رغمًا عن أنفها؟؟ وهي مشكلة بالفعل موجودة في مجتمعنا ولها انعكاسات خطيرة!

## الحجاب بالعافية.. هل توافق؟

الغالبية العظمى من العلماء ذهبوا إلى أن الحجاب فرض على المرأة المسلمة، وأوافق تمامًا على هذا الرأي من منطلق إسلامنا الجميل والفارق بين هذه المدرسة وغيرها يتمثل في كيفية الالتزام.. تيار الوسطية الذي يمثل أئمة الإسلام: الغزالي رحمه الله والقرضاوي أطال الله في عمره وغيرهما لا يوافق على أن يتم ذلك بالعافية وضرب البنت «علقة» إذا رفضت ذلك!

ووجهة نظرهم تستند إلى أمرين فهل يمكن تصور مسلم يصلي رغما عنه؟ والأمر الثاني: إن سلوك الفتاة التي تجبرها على الحجاب سيكون بعيدًا جدًّا عن قواعد الحشمة والأخلاق، ويمكن أن تراها فضيحة متحركة مثل المناظر الغرامية على شواطئ النيل والأماكن الخفية بالجامعات والحدائق والعديد من أبطالها محجبات، ويكاد يصيبك سكتة قلبية وأنت ترى واحدة محتشمة في وضع غير محتشم! وسبب هذا السلوك المشين معروف، فالحجاب عندها مفروض عليها من أسرتها فهي «طرحة» تضعها

على رأسها ولا قيمة لها! والحل أن تبذل جهدك في إقناعها ثم أترك لها حرية الاختيار.

وهناك رأي آخر يقول: لا يمكنك أن تطلب من البنت الالتزام وتتركها بعد ذلك على هواها أو حسب مزاجها كما يقول الرأي الأول!! بل عليك إجبارها على الالتزام بقواعد الدين وليس فقط بالحجاب ويمكن أن يصل الأمر إلى حد الضرب والعقاب.. فالتربية الصحيحة عندهم مزيج من الرغبة والرهبة.. أما العاشقات المحجبات فهن استثناء بكل المقاييس.

وبعد.. لقد عرضت الرأيين فماذا تختار؟ وكان الله في عونك إذا كان عندك بنت شقية في سن المراهقة!!

## سافرة!!!

قالت لي: أراك تركز معظم كتابتك على المحجبات.

قلت لها: أريد مخاطبة كل الأطياف.. والبنات أشكال وألوان! لكن الكلام عن المحجبات أخذني!! والسبب أنهن أنواع! فلا يمكن جمعهن كلهن في سلة واحدة.

تساءلت: وإيه رأيك في البنات السافرات؟؟ مش معقول كلهن لون واحد!!

فوجئت برد لم تتوقعه، قلت: سافرة لا تعجبني! أراها مرادفة لكلمة قليلة الأدب!

طرأت الدهشة على وجهها وهي تسألني: يعني إيه.. مش فاهمة.

نظرت إليها في حدود قائلًا: حضرتك مثلا ولا مؤاخذة سافرة!! ومع ذلك فأنت محترمة! الأفضل أن يقال عنك إنك غير ملتزمة بالحجاب بدلًا من تقسيم الفتيات إلى ملتزمات وسافرات!!

سألتني من جديد: برضه مش فاهمة وسبب اعتراضك على كلمة سافرة!! أنا مثلا لا أشعر بحرج من تلك الكلمة!

قلت لها: أنت حرة.. لكنني أراها صادمة.. وأن البنت ماشية على حل شعرها!! هذا ما أفهمه أنا شخصيًّا من تلك الكلمة.

فأجابتني بالقول: أفهم من كلامك أنه لا فارق عندك بين المحجبة وغيرها!! كله عندك سيان!! طيب إزاي؟؟ وأنت عامل نفسك متدين!!

نظرت إليها بغضب! ثم ضبطت أعصابي قائلا: فهمت كلامي غلط، ولم تكتفي بذلك بل أطلقت حكمًا مع كلام فيه إهانة مثل عامل نفسك متدين!! يا سيدتي أنا من أنصار الحجاب وأراه فرضًا! لكنني في ذات الوقت أحترم الجميع.. المحجبة وغيرها.

قالت ضاحكة: تقصد السافرة!

## البنات غير المحجبات أنواع

كلمة «سافرة» لا تعجبني! من الأفضل أن يقال إنها غير محجبة، وفي مجال سابق قلت إنه لا يمكن وضع كل المحجبات في سلة واحدة، وهذا ينطبق أيضا على غيرهن، فتراهن في الدنيا أشكالًا وألوانًا.

وهناك خطأ شائع يقع فيه بعض المتشددين، فهم ينظرون إلى غير المحجبة نظرة ارتياب وشك واتهام! فهي متهمة من وجهة نظرهم إلى أن يثبت العكس! وهيهات أن يحدث هذا طالما أنها لا تلتزم بالزي الشرعي!!

وإسلامنا الجميل يرفض تلك النظرة الضيقة المتعصبة ومنطقه عكس المتزمتين.. فكل إنسان مؤمن إلى أن يثبت العكس! وحسابه عند ربه! وليس من حق أحد أن يتهمه في دينه.

وهناك بنات زي الفل الواحدة منهن تقلها دهب، وتراها نموذجًا مشرفًا للإسلام حتى وهي غير محجبة! وتعطي صورة حلوة لإسلامنا الجميل أمام الخواجات! وتراها تسارع بالدفاع عن

ديننا إذا تعرض له أحد بسوء، وهي في حياتها الشخصية ملتزمة ومحتشمة وحريصة على أداء العبادات في أوقاتها، وشاطرة في كل ما تقوم به وتستحق الاحترام وتعظيم سلام كمان! وهذه النسبة أيضًا من الصبايا القريبات جدًّا من الدين ظاهرة في مجتمعنا ولا يمكن أن تكون مجرد استثناء وسط البنات غير المحجبات!

وإلى جانب هؤلاء ترى نساء تقول عن الواحدة منهن: أعوذ بالله حتى ولو كانت جميلة بالمقاييس المادية! فهي ماشية على حل شعرها وحياتها قائمة على التقاليد الأوروبية، ويمكن تكون ملكية أكثر من الملك نفسه.. يعني شديدة التعلق بحياة الغرب! وهذا النوع من حواء أراها استثناء! رغم كل ما نشاهده وأرض مصر ما زالت بخير والحمد لله.

## تستحق الإدانة والشفقة معًا!

البنت المنحلة البايظة تستحق الإدانة بالطبع، ولكن إياك أن تلعنها، بل قل ربنا يهديها، ومن يدري ربما تفيق إلى نفسها قبل أن يأتي أجلها وتتوب إلى ربها وتكون أفضل مني ومنك عند خالقها يوم الحساب، فهي بعد انحرافها قررت أن تستقيم وهي في عز شبابها بإرادتها رغم أنها مطلوبة من أهل السوء لكنها خافت من رب العالمين واستيقظ ضميرها بعد نوم طويل.. إنها في هذه الحالة تستحق تعظيم سلام لأن ما جرى معجزة! ولا تجد إلا قليلًا أو قل نادرًا «واحدة من إياهم» تثور على أوضاعها! خاصة والفلوس بتجري في إيديها! وفارق كبير بين الشابة المنحرفة والمرأة العجوز التي استقامت لأنها لم تعد مطلوبة، بعدما تجاوزت سن الشباب!!

وسبب الإشفاق على هؤلاء النسوة يتمثل في أنهن ضحايا للمجتمع.. وصدق من قال: «لا تسألوا الناس واسألوا الظروف» وهو تعبير أعجبني جدًّا، وأفتخر بأن قائله هو والدي إحسان عبد القدوس.. عليه ألف رحمة.

وبالتأكيد فإن الواحدة من هؤلاء نشأت في أسرة مفككة أو تلقت صدمة في حياتها أفقدتها توازنها ودفعتها إلى الانحراف والطريق الخطأ وبدلًا من اللجوء إلى ربها وجدناها في الكباريه!! وهنا «مربط الفرس» بالتعبير الشهير أو لب الموضوع بتعبير آخر.. وأقصد غياب تعاليم الدين. وفوائد الإيمان لا تقتصر فقط كما يظن البعض على الآخرة بل إن الارتباط بربنا له إيجابيات عديدة في الدنيا أولها أن تحفظ الإنسان وتصونه من الانحراف..

وأتحدى أن المرأة التي سقطت ثم تابت إلى الله قبل أن ينصرف عنها الناس فيها بقايا خير ظهرت في الوقت المناسب فرفضت أن تستمر امرأة في يد إبليس وأن تظل من شياطين الإنس وقررت إغلاق الستار على هذا العبث والمجون.. ومن يدري ربما تكون قد رق قلبها لرجل نبيل نجح في انتشالها من سقطتها... وربنا قادر على صنع المعجزات.

## الحب ظلموه!

كثيرا ما تسمع هذا التعبير: «لا أستطيع أن أعيش بدون حب» وغالبًا ما تكون صاحبة تلك الجملة واحدة مشهورة! سواء كانت فنانة أو من سيدات المجتمع. وتردد بقوة بمناسبة عيد الحب أو «الفالنتين» بتعبير الخواجات! وبيني وبينك لا أشعر باطمئنان أمام هذا الكلام! وأشعر أنها كلمة حق يراد بها باطل! وتلك مثل فندق يكثر فيه النزلاء وليس بالقصر الشامخ الذي لا يستوعب إلا واحدًا فقط! ولذلك فمن الواجب والحذر الاحتراس من صاحبة اللوكاندة تلك! فهي تريد تبرير ما تفعله باسم الحب فهو مرادف للعشق والغرام والهوى. ولذلك أرى تلك العاطفة النبيلة مظلومة لأنها تعني هنا السقوط الأخلاقي!! فالحب ظلموه لأنه اختلط بالعيب وصاحبته بعيدة عن مواصفات سيدتي الجميلة وتستحق «قلمين» بدلًا من تعظيم سلام!

ونظرة بنات إسلامنا الجميل مختلفة تمامًا إلى الحب «مختلفة تمامًا» عن صاحبة المنتجع الذي يهرب إليه أصدقاؤها للاستمتاع

بأوقات جميلة وقد تكون أي كلام ففي هذه الحالة لا تمتلك إلا لوكاندة درجة ثالثة وكله حرام في حرام سواء أكانت سيدة مجتمع تتشدق بالحب لكي تستمتع أو واحدة «من بنات الإيه» أو من الناس اللي تحت!! تريد أن تلهو!! وسيدتي الجميلة بحق، للحب عندها مفهوم واسع جدًّا.. لا يقتصر فقط على روميو وجولييت وسهر الليالي بل يشمل الكون كله ويبدأ بصاحبه رب العالمين وتمتد إلى الحيوانات والجماد.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جبل أحد نحبه ويحبنا» وذلك ردًا على الذين تشاءموا من هذا المكان بعد هزيمتهم هناك! وإذا جئنا إلى العلاقة بين الجنسين لا نجد الدنيا «سايبة» أو سداح مداح! بل قوامها الاحترام الذي يتم تتويجه بالزواج وقلب سيدتي في هذه الحالة قصر لا يدخله إلا من يستحقه.

## الحب ومراحله الثلاث

الحب مع من يدق له قلبك عطاء..نماء.. يرتقي بحضرتك! فإذا أدى إلى عكس ذلك كله فاعلم أنه هلاك، ومصيبة، وابتلاء لك في الدنيا، وينطبق عليك في هذه الحالة القول المأثور: «من الحب ما قتل» وفي يقيني أن تلك العاطفة الحلوة تختلف حسب مراحل العمر. و«بالعقل كده»، لا يمكن أن يكون حب المراهق مثل الرجل الناضج والشيخ الذي أوشكت حياته على الانتهاء.. فتلك الثلاثية من الشباب والرجولة والشيخوخة تنعكس على الحب فتعطيه نكهة مختلفة تتناسب مع عمر الإنسان.

والمرحلة الأولى أو المراهقة قوامها الرومانسية وسهر الليالي، الكلمات الحلوة، فالحبيب هنا تراه على «شاطئ الغرام» لم يخض بعد في بحاره.. ولا يعرف يعني إيه أمواجه ولا تستطيع أن تحكم على هذا العاشق بالضبط.. فقد يكون «سباحًا ماهرًا» أو خائبًا تنطبق على حضرته أغنية العندليب الشهيرة «إني أغرق.. أغرق»!!

ومرحلة الرجولة هي التي ستكشف معدنه، ومن خلالها

ستعرف مدى جديته في هذا الحب الذي يقوم بالدرجة الأولى على المسئولية! فأنت مسئول عن سعادة شريك حياتك، والكلمات المعسولة لا تكفي مع أقرب الناس إليك.. وهنا يخوض الحبيب في بحر الحب.. والعاشق بصحيح سيكون تلقائيًّا سباحًا ماهرًا، وتراه جدع ورب أسرة ناجحة.. فإذا كان فيه نذالة فاعلم أن كلامه عن الحب مجرد كلام في كلام لا يسمن ولا يغني من جوع بعدما اتضح بالاختبارات العملية أنه «فالصو»! وراسب في ميدان الغرام رغم أنه قد يجيد التمثيل!!

وأنتقل إلى المرحلة الثالثة وقوامها الراحة والسكينة مع من تحب وأنت في مرحلة الشيخوخة وتستعد لمغادرة الدنيا، فإذا كان حبيب عمرك بجانبك في تلك الفترة فاعلم أن حظك من السما! لأن غيرك يشكو من الوحدة وبرد الجو فليس له غطاء من الحب يحميه من برد الدنيا.

## رفض تقديم هدية لأمه!

هذا الموقف تكرر أكثر من مرة في مصر المحروسة! في عيد الأم الذي يأتي مع مقدم الربيع نرى الابن البار يقدم هدية لأمه وكل سنة وأنت طيبة يا ست الحبايب! بينما شقيقه رفض ذلك رغم أنه يزعم أنه مخلص جدًّا للسيدة التي أنجبته!

ومن فضلك استمع معي إلى وجهة نظره.. يقول: أنا مخلص لأمي ٣٦٥ يومًا في السنة أخدمها بعيني! لذلك لا أقبل تخصيص يوم معين للاحتفال بها وأراه بدعة قادمة من الغرب.

وتستطيع أنت أن ترفض رأيه هذا بسهولة ومن منطلق ديني أيضًا فلا يفل الحديد إلا الحديد!! فالبدعة هي التي تتعلق بالتلاعب في تعاليم السماء سواء بالحذف أو الإضافة ولم يقل أحد إن الاحتفال بالأم عيد ديني!

وإسلامنا الجميل الذي جاء للدنيا كلها حريص على العرف والتقاليد الموجودة بالبلدان المختلفة طالما أنها لا تتعارض مع تعاليمه.. والمثال على ذلك عيد الأم فرصة لاجتماع الزوج وأولاده

حول ربة المنزل لشكرها على كل ما تفعله من أجلهم.. وإذا كانت أمك قد ماتت لا قدر الله فلا تنس أن تقرأ لها فاتحة الكتاب ترحمًا عليها، وتتمنى لها حياة سعيدة في الدنيا التي تعيش بها في الآخرة، وصدق من قال: «أنتم السابقون ونحن اللاحقون»! وأسألك: هل يوجد في كل ما قلته أمر واحد يتعارض مع تعاليم السماء أم أنه التشدد لمن يعترض عليه!

وانتقل إلى الحجة الأخيرة لهذا الولد المتزمت: أنا أحتفل بأمي طيلة العام، فلا داعي لهذه البدعة المستوردة؟؟ وأقول له: هذا احتفال محلي نشأ في مصر منذ ٥٣ سنة على يد أصحاب أخبار اليوم في ذلك الوقت التوءمين «مصطفى وعلي أمين» وكان ذلك سنة ١٩٥٥م. فليس مستوردا من بلاد بره!! ومن ناحية أخرى ما المانع أن تكون مخلصًا جدًّا لأمك طيلة العام وفي يوم عيد الأم تقول لها: كل سنة وأنت طيبة؟؟ فلا أرى تناقضًا بين الاثنين! وأخيرًا فإنني أقول إذا كانت تلك عقليتك يا حضرة فالمؤكد أنك ابن متعب!! وأمك تشكو مما تفعله معها باسم الدين!! وكان الله في عونها!

## لماذا رفض الاحتفال بعيد ميلادها؟

ظل سنوات معها.. لطيفًا وظريفًا! وفي عيد ميلادها كان يحرص أن يقول لها في كل عام.. كل سنة وأنت طيبة! ورغم عمله المرهق وعصبيته أحيانًا، كان زواجه منها ناجحًا بكل المقاييس بل ويمكنك أن تعتبره قدوة للآخرين في حسن معاشرة شريكة العمر، فهو ابن أصول ينتمي إلى أسرة طيبة ومنها عرف الأدب والتدين الصحيح بمدرسة إسلامنا الجميل.

ومؤخرًا طرأت عليه حالة من الدروشة! رفض الاحتفال بعيد ميلاد زوجته بحجة أنها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.. وكان هذا الأمر غريبًا بالطبع وأفكارًا وافدة على عقله لم يكن لها وجود مع أنه يعرف ربه جيدًا وسبق له أداء فريضة الحج فما الذي جرى؟ ومن هو هذا المتشدد الذي غرس في نفسه هذه الأفكار الغريبة.

وعندما تقابلت معه كان ينظر إليّ شذرًا فقد أصبحت من وجهة نظره من أنصار الإسلام المستورد الذي يريد أن يتكيف مع العصر

الحديث! وسألني دون مقدمات إزاي تدّعي التديّن وتقول لمن تعرفه في عيد ميلاده كل سنة وأنت طيب؟ دع هذا الموضوع للناس العاديين الذين لا يعرفون شرع الله!

ونظرت إليه وكأنني أنظر إلى شخص غريب لا أعرفه وقلت له: «الأصل في الحياة أنها حلال والحرام يكون في أضيق نطاق فلا تحاول التفلسف».

وحاول أن يقاطعني محتجًّا على كلامي فرفضت! وقلت له: «أنت عندما تقول لزوجتك في عيد ميلادها كل سنة وأنت طيبة فإنك تدخل السرور على قلبها فهل هذا حرام؟ وتزداد المودة بينكما وأنت تقوم بتهنئتها ولو بوردة أو حتى كلمة ولا يوجد عاقل يفهم دينه يكره ذلك!» والاحتفال بمرور عام من العمر يكون مكروها في حالة واحدة فقط تتمثل في إقامة احتفال صاخب يختلط فيه الحابل والنابل دون قواعد! وفي غير تلك الحالة فلا اعتراض.. والأجدى أن يراجع الإنسان نفسه ويحاول أن يعمل كشف حساب لما قدمه في العام المنصرم وطلبت من صاحبي أن يعود كما عرفته بعيدًا عن التزمت وضيق الأفق وداعبته بالأغنية التي تقول: قول للزمان ارجع يا زمان!!

## سعادة الدنيا والآخرة!

الإسلام اكتشف مبكرًا جدًّا أهمية المرأة بالنسبة للرجل، وبني آدم بدون حواء يكون تعيسًا. وكذلك إذا كانت معه امرأة لا تنتمي إلى سيدتي الجميلة!! وهناك حديث شريف قال عنه سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام إنه يضمن لك سعادة الدنيا والآخرة وهذا نصه: «أربع من أصابهن فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا وبدنًا على البلاء صابرًا. وزوجة لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله» وهذا الكلام النبوي يجمع بين الحسنين.. أو الحياتين.. الحياة على الأرض، وتلك التي نحياها في السماء بعدما نغادر الدنيا..

وإذا كان لحضرتك قلب شاكر فهذا يعني أن لك صفتين كل منهما أجمل من الثانية.. فأنت في هذه الحالة لا تعرف الحقد والحسد ولا يأكل الغل قلبك!! ومن وجهة ثانية فأنت راضٍ بحياتك وتقول الحمد لله على حالك.

واللسان الذاكر لله يرتبط صاحبه بربنا وبذلك يضمن السعادة في

الآخرة، وهذا النوع من الناس تجده قليلًا في عصرنا الذي يسيطر عليه النكد!! وآهٍ من سلاطة اللسان وزلاته.. الذي يودي بصاحبه إلى التهلكة في الآخرة أما في حياتنا فهو يضرب العلاقات الإنسانية في الصميم.

وتذكرت الحكمة التي تقول: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى» والحديث النبوي يذكر عنصرًا أساسيًّا للسعادة في هذه الحياة ويتمثل في جسد قادر على تحمل البلاء ومواجهة المشاكل، فلا يسقط مريضًا ويصيبه ضغط الدم والسكر وغيرهما من الأمراض التي انتشرت في عصرنا الحديث بالذات نتيجة للصعوبة التي يواجهها المرء في حياته، فأنت تعيش في غابة كبيرة مليئة بالوحوش، والمريض يمكن أن تسحقه الأقدام، ولذلك أتمنى لك صحة جيدة!

وختام هذا الحديث عن زوجة زي الفل لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله.. يعني باختصار لا تستفزه.. أو تنكد عيشته، ومن فضلك انتظرني لأشرح لك المقصود من ذلك.

## امرأة تستفزك

من فضل ربنا عليك أن يكون عندك زوجة مؤمنة تساعدك على إيمانك ومن مصائب الدنيا أن تقترن بامرأة تستفزك أو بالتعبير النبوي الشريف: «امرأة تبغي زوجها حوبا في نفسها أو ماله» وآه من هذا الصنف من النساء فهي لن تجعلك تتقدم في حياتك العملية خطوة إلى الأمام والحب في هذه الحالة يصبح في خبر كان لأنه من المفترض أن تلك العاطفة الجميلة ترتقي بك، وبفضلها تصعد سلالم النجاح بسرعة، لكن العكس صحيح في هذه الحالة.. فتلك العلاقة تؤدي بك إلى التهلكة «وحالك يصعب على الكافر» بالتعبير العامي.. وينطبق عليك وفي هذا المقام الحكمة القائلة: «من الحب ما قتل»! وأشك أن يكون هناك غرام أصلًا!

والمرأة التي تستفز رجلها فيها عدة مصائب اجتمعت مع بعضها!! أولها الأنانية، فهي تفكر في نفسها أولا وثانيا، ويأتي بيتها وأطفالها في مرتبة متأخرة، أما زوجها الضحية فهو «ورا خالص» تجده في المرتبة العاشرة.. ويمكن بعدها كمان!!

والمصيبة الثانية هي الدلع، فهي تأخذ ولا تعطي، ومطالبها لا تنتهي وفي المقابل لا تقدم شيئًا سوى النكد!!

وتستنكف بالطبع أن تقوم بخدمة بيتها بنفسها، ولا تعرف رعاية أبنائها وغالبا ما تجد عندها خادمة أو شغالة تقوم بهذه «الوظائف»! ولو كانت أجنبية يبقى أفضل! وتلك «البلوى» التي تعيش في أحضان الزوج المسكين شعارها: «أنا زيي زيك»، فهي ترفض سماع كلامه وتسخر من العقلية التي تطالب الرجل بأن يكون سيدًا في منزله، وتلك الصفات تجعلها دوما مصدر صداع.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة: كيف يتجنب العريس تلك المصيبة؟ ويحسن الاختيار؟ الإجابة تتمثل في أمرين: فالزواج حظ أو بتعبير آخر توفيق من عند ربنا، والأمر الثاني يتمثل في ضرورة التريث وعدم الغفلة عند الاختيار.. وإذا رأيت أسرتها مادية أو كثيرة الطلبات فاعلم أنك ذاهب إلى مقلب ساخن فاحترس منه!

## دفاع عن قاسم أمين محرر المرأة

من الشخصيات المرموقة في تاريخ مصر قاسم أمين محرر المرأة وهو الوصف الذي التصق به وكان بالفعل نصيرًا لسيدتي الجميلة لكنه تعرض لظلم فادح من فئتين!! والغريب أن كلًا منهما مناقضة للأخرى تمامًا.. وهناك من التيار الإسلامي من هاجمه بقوة وزعم أنه عميل للغرب! وعلى العكس من ذلك ترى من العلمانيين مَنْ أشار للمفكر الكبير ونظر إليه باعتباره مفكرًا ليبراليًّا عمل على تخليص المرأة من القيود المفروضة عليها باسم الدين!

والمفاجأة أن محرر المرأة كان متحمسًا ونصيرًا لإسلامنا الجميل على عكس هذه الآراء كلها، وهذا ما أكده أكثر من باحث إسلامي قاموا بدراسة سيرته، ومنهم الدكتور محمد عمارة والأستاذ أحمد موسى سالم. وأذكر مثالًا واحدًا يدل على ذلك ويتمثل في رده على الكاتب الفرنسي «دوق داركور» الذي أصدر في سنة ١٨٩٣ كتابًا قال فيه: إن مصر بلغت ستة قرون عجاف تراجعت فيها خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية، وأن الحملة الفرنسية عملت

على إخراج أرض الكنانة من الظلمات إلى النور! وأخذ الكاتب الفرنسي يبسط قلمه بالأذى ويرسم صورة قاتمة لأهل الإسلام! ويخص المرأة بمزيد من التجريح! ويرد ذلك كله إلى طبيعة دين محمد التي تتعارض مع الرقي والحضارة!

وكان قاسم أمين، رحمه الله، جاهزًا للرد على هذا الافتراء، وسار إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه، وشرح حقوق المرأة في الإسلام وما كفله الدين لها من كرامة مادية وأدبية، ووازن «قاسم أمين» بين حجاب السترة والاحتشام عندنا وبين انحراف المدنية الحديثة وما أحاطت به أوضاع المرأة من الانحلال والتهتك. إن ما فعله هذا المفكر العربي الكبير كان محكومًا بأمرين أولهما الدفاع عن الإسلام. وثانيهما تبرئة ديننا العظيم من التخلف الذي أحاط بالمرأة والأمة كلها.

## المرأة بين طرفين مظلومة!!

تحدثت عن المرحوم قاسم أمين الذي دافع بحق عن نظرة إسلامنا الجميل إلى المرأة.. وقبل مجيء رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان عرب الجاهلية يتشاءمون لمولد الأنثى!! وبعضهم قد يلجأ إلى قتلها لتلفظ أنفاسها الواهنة تحت التراب، وفي بلدان أخرى كانت هناك نماذج وحشية لإنكار حق الحياة على المرأة، فإذا مات الزوج وجب على المرأة أن تموت معه مهما كانت صحيحة البدن!! وجاء إسلامنا فاحترم الأنوثة واستبعد كل النظريات المسيئة إليها ورفض أنواع الإهانات التي كانت تلقاها.. وعدّها جزءًا من حقيقة الإنسانية التي جاء لتزكيتها.. ووعي المجتمع العربي على عهد السلف الأولين المرأة وهي تترد على المساجد من الفجر إلى العشاء، وتتعلم كما يتعلم الرجل، وقد تقاتل مع المقاتلين وتداوي الجرحى، وتأمر وتنهي وتنصح إلخ.. والمؤسف أن التقاليد العربية الجاهلية التي كانت تجتاح الأنوثة قديمًا وتسحق حقوقها المادية والأدبية عز عليها نهضة المرأة في ظل الإسلام

فعادت تسلبها حقوقها وتنكر ما أقره الإسلام لها.. وتحولت حواء عند هؤلاء من سيدتي إلى مجرد خادمة عند الرجل لإشباع شهواته وتنفيذ طلباته!! وقديمًا رأينا المرأة وقد شاركت في بيعة العقبة وفي تاريخ المسلمين الحديث رأينا من ينكر عليها المشاركة في الشئون العامة! وانسحبت المرأة من المساجد كذلك فلا مكان لها في العديد من الجوامع وعدم إكمال مواد تعليمها «شيء عادي».

وعودة الجاهلية القديمة قابلتها مصيبة أخرى تريد أن تقطع الصلة بين المرأة والإسلام كله وتقليد أوروبا في كل شيء وهؤلاء يريدون سحق النساء ولكن بطريقة أخرى.. والدواء الصحيح يكون بالعودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة بعيدًا عن التقاليد الشرقية والعقلية الأوروبية.. فالمرأة مظلومة بين هذا الطرف وذاك.. أليس كذلك؟

## غلطة قاتلة

تحدثت عن عمل المرأة ومتى يكون فرضًا عليها، ويلاحظ أن سن الزواج عند سيدتي قد تأخر لأسباب أنا شخصيًّا غير مقتنع بها!! منها ضرورة إكمال تعليمها أولًا، وبعد ذلك عليها أن تعمل لكي يكون معها سلاح تستطيع أن تواجه به غدر الرجل! وأشرح لك وجهة نظري ومن فضلك احكم عليها بنفسك..

فالموضوع لا يتعلق بتأخير سن الزواج أو تقديمه، بل محوره الأول العثور على الرجل المناسب الذي ترى فيه سيدتي الجميلة أنه جدير بأن يكون شريك حياتها.. فإن كانت محظوظة وعثرت على فتى أحلامها فما الذي يمنع أن تتزوج بدري؟ وبعد ذلك تكمل تعليمها وتعمل إذا وجدت ما يلائمها بموافقة الزوج وبعدها تنجب بنين وبنات أجمل ما في حياة كل امرأة عاقلة.. فهل في منطقي هذا غلط؟؟ أو أنه يمثل رأيـًا شاذًا؟؟

والغلطة القاتلة التي يمكن أن تقع فيها سيدتي تتمثل في إغلاق باب الزواج بالضبة والمفتاح!! فهي فكرة مؤجلة مؤقتًا حتى تبني نفسها وتؤكد شخصيتها!

ونتيجة هذا التفكير مؤسفة وتتمثل في ضياع أكثر من فرصة ملائمة.

وتمر السنوات ويتأخر سن الزواج وقد تجاوزت الثلاثين من عمرها، وبالطبع تزداد صعوبة العثور على الشخص المناسب... ويا رب يزيد ويبارك في نجاحها لكن إذا وصلت إلى منصب مدير عام ولم تتزوج، فإنه من الصعب جدا أن تقترن «بأي واحد» ولو كان من عائلة طيبة وشاب يبني مستقبله، فلا أحد يقبل بأن تكون زوجته في منصب خطير، بينما هو ما زال يكافح!!

فإن وجدت تلك الصورة فهي معجزة! أو بمعنى أدق أمرًا استثنائيًّا بكل المقاييس، وبهذه المناسبة تذكرت فيلم «مراتي مدير عام» بطولة الرائعة شادية والمرحوم الفنان الكبير صلاح ذو الفقار! والخلاصة أنه إذا دق قلب سيدتي فلا مجال للتأجيل أو التسويف في الاقتران ما دامت القدرة على ذلك موجودة.. وصدق من قال: خير البر عاجله.

## وغلطة قاتلة أخرى: المرأة المسترجلة!

تحدثت عن واحدة نسيت نفسها، وانشغلت في عملها وتكوين شخصيتها وبناء مستقبلها.. هكذا تقول رافعة شعار «المساواة» بحد تعبيرها: «البنت زي الولد مش كمالة عدد»!! وهي مطلع أغنية مشهورة لسعاد حسني غنتها في حضرة الفنان المتألق أحمد زكي وربنا يرحم الجميع، ويا أيتها المساواة كم أنت مظلومة على يد بعض بنات حواء، فالعقلية سالفة الذكر أطاحت بصاحبتها وفاتها قطار الزواج فلم تركبه مع أنها أهم وسيلة مواصلات في طريق السعادة لسيدتي الجميلة، لكن عقلها كان مشغولًا بأمور أخرى! واعتبرت ما جرى غلطة قاتلة.

وأنتقل إلى خطأ فادح آخر يتم باسم المساواة المفترى عليها، يتمثل في كلمتين بالضبط «المرأة المسترجلة»! فهذه السيدة تريد أن تسحق أنوثتها وتظن أن ذلك سيجعلها مع الرجل في مرتبة واحدة! وتراها مثلًا تدخل في مجالات رياضية لا يقبل عليها إلا الأشداء من الرجال مثل المصارعة والبوكس ورفع الأثقال! وإذا رأيت من

تحافظ على رقتها وأنوثتها وجمالها وهي تمارس هذه الألعاب الخشنة فهي استثناء بكل المقاييس وتستحق في هذه الحالة فقط تعظيم سلام.. وإذا كان دخول المرأة هذه المجالات ليس بالظاهرة حتى الآن بما يعني أنه أمر محدود والحمد لله، فإن هناك مصيبة أخرى أكثر انتشارًا، وتجدها في العديد من بيوتنا وتتمثل في المرأة التي تحاول أن تكون «رجل البيت» وتريد فرض سطوتها على منزلها لتكون سماع كلمتها هي العليا في عش الزوجية، فهي ترفض الخضوع لشريك العمر أو سماع كلامه، ولا تقبل بما أكده القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: ٣٤). وتكون النتيجة تعاسة وخراب ديار، وويل للزوج المسكين الذي يقع في براثنها، فتلك المرأة خالفت نواميس الكون والفطرة الإنسانية السليمة فلا تعارض بين المساواة وأن يكون الرجل سيد منزله.

## فين قلبك؟؟

الغلطة القاتلة الثالثة: يتزوج العريس وقلبه على الحياد!! أو توافق العروس على الاقتران بشاب زي الفل، لكن قلبها لا يدق له، فهو زواج قوامه العقل بالدرجة الأولى... طيب فين قلبك يا ست الكل؟؟ ولماذا هو غائب؟؟

وكنت قد بدأت الكلام عن أخطاء قاتلة في النظرة إلى الزواج تودي الناس إلى التهلكة! تحدثت في البداية عن واحدة «طناش»!! يعني تفكر أولًا في مستقبلها العملي، أما تكوين بيت وأولاد فهذا يأتي عندها في مرحلة متأخرة، وتكون النتيجة أن تفوتها فرصة تلو الأخرى في اختيار العريس المناسب، وهكذا تقترب من الأربعين من عمرها وما زالت عانسًا!!

وتحدثت بعد ذلك عن المرأة المسترجلة!! التي تظن أن المساواة تعني إلغاء قوامة الرجل على بيته ويا ويل الزوج الذي يقع في براثنها!! وينطبق عليهما هنا المثل الشعبي الذي يقول: «المركب اللي فيها ريسين تغرق»! ولن يفلح هذا الزواج إلا إذا كان الرجل

ضعيفًا أو بتعبير آخر «هايفًا» ومستسلمًا لرغبات امرأته فهي رجل البيت!! وصاحبة الكلمة العليا فيه!! وشريك عمرها بلا شخصية!

وأنتقل مع حضرتك إلى الغلطة القاتلة الثالثة... زواج صالونات..

شاب اختار فتاة من أسرة طيبة.. ألف مبروك يا سيدي، لكن المشكلة أن قلبه لا يدق لها.. فأمه هي التي اختارت له العروس وهو يثق بالطبع في اختيارها! ولا يستطيع أن يرفض لها طلبًا، خاصة، أنها تريد أن تفرح به!

وحياد القلب هنا أمر غير مطلوب، ويترتب عليه «برودة الجو» بدلًا من أن تكون الدنيا ربيع والجو بديع وهو يقترن بشريكة عمره ترى الرسميات غالبة، وبالتالي يكون الزواج في هذه الحالة على كف عفريت لأنه يفتقد إلى العاطفة! وذات الأمر تراه في زواج المصلحة، فهو يشبه زواج الصالونات من حيث حياد القلب وبرودة الجو!! وإذا سألت في هذه الحالة عن الحب كانت الإجابة: «ده كلام فارغ وأفلام عربي»! فهل يمكن الاستغناء عن الحب الحقيقي في زواج ناضج وسعيد؟؟ من فضلك انتظرني..

## زواج وحب!

الحب كلام فاضي وأغاني وأفلام عربي! المهم أن يكون العريس والعروس من أسرة طيبة، وتربية أصيلة وأخلاق، ويكفي هذا لإقامة زواج ناجح بعيدًا عن حكايات الغرام والهيام وخيال الشعراء!

وأنصار هذا الكلام أرى قلوبهم من حجر، ويقولون عن أنفسهم إنهم أهل واقع يفكرون بعقولهم بعيدًا عن أحكام القلب التي تلقي بصاحبها إلى التهلكة.

ومن الطبيعي أن يصبح هذا المنطق ظاهرة بمجتمعنا في عصرنا هذا وقوامه المادة والفلوس والبزنس، وصعوبة الزواج والبحث عن عريس لقطة، وتراجع الرومانسية! وإلى جانب هؤلاء تجد أنصار نظرية: «إذا دخل الزواج من الباب هرب الحب من الشباك»! فهذا القيد، وهو المقصود به الارتباط الشرعي، يحطم الغرام.

وتتحول حياة العاشق إلى نكد بفعل المشاكل اليومية! وفي مواجهة زواج العقل، وأصحاب نظرية الباب والشباك، يوجد من

يؤمن بالحب كأساس متين للزواج السعيد، والعاطفة النبيلة أراها وراء كل نجاح، ففي العمل مثلًا يستطيع المدير توجيه من يعملون تحت يده بالإرهاب والكرباج، وأن تكون له شلة تدين له بالولاء في مواجهة بقية العاملين! وتلك هي العقلية الفرعونية! وصاحب العمل الناجح له منطق آخر، فهو مفتوح على الجميع، وله قلب من دهب قوامه الحب..

وإذا جئنا إلى ارتباط العمر وتكملة نصف دينك، فإنني أقول لك إن الحب ليس بالكلام، بل هو سلوك بالدرجة الأولى، فلا تنس الكلمات المعسولة واللفتات الحلوة لشريك العمر مهما طال بك الزمن، والأهم من ذلك المسئولية والمعاملة الطيبة والإخلاص، وأن يكون بيتك محل اهتمام أساسي وليس على الهامش، فإذا كنت رقيقًا مع نصفك الآخر، وفي ذات الوقت جدع في تحمل أعباء منزلك فأنت في هذه الحالة تستحق عشرة على عشرة وتعظيم سلام كمان..

لأن الحب يطير بجناحين.. رقة ومسئولية.

## دخل الزواج من الباب فعانقه بالحب!

المفسدون في الأرض يريدون هدم الأسرة على رؤوس أهلها، ولذلك تراهم يحاربون الارتباط الشرعي بشتى الوسائل ومن بينها السخرية من الزواج والقول بأنه إذا دخل من الباب هرب الحب من الشباك! وهذا الكلام الساخر مرفوض تمامًا، ولعلك لاحظت ذلك من العنوان الذي يناقض ما يقوله هؤلاء.

ومن حقك أن تسألني: لكن ما هو الوضع يا عمنا إذا دخل الزواج من الباب فلم يجد أحدًا في انتظاره؟؟ فالحب مش موجود لسبب أو لآخر! والإجابة: إن الارتباط في هذه الحالة يكون على كف عفريت وأنت وحظك، وعندما يتزوج الإنسان وهو لا يشعر بدفء قلبه تجاه شريك حياته، وتكون الحرارة مقطوعة، فإنه بالتأكيد لا يكون سعيدًا في حياته بل يعيش حياة روتينية تقليدية ويربي من خلالها أولاده، ويؤدي رسالته في الدنيا حتى يقول السلام عليكم، وينتقل إلى حياة أخرى عند ربنا وربما يكون أسعد حالًا هناك.. إذا كان خالقه راضيًا عنه.

وهناك سؤال آخر يطرح نفسه: يعني إيه حب؟؟ هل هو ما نراه في الأفلام العربي ونسمعه من أغاني عبد الحليم حافظ وفريد؟؟ والإجابة: إن قلبك لما يدق في مرحلة المراهقة يختلف عن العاطفة الحارة التي تتوّج بالزواج، فالأول وأنت صغير ما زلت في ابتدائي! لكن الثاني حب شامل متكامل فقد أصبحت عريسًا أو عروسًا.. وألف مبروك يا عم أو يا ستي!! حب المراهقة رومانسي، وحب الزواج واقعي وجاد ليس فيه تزويغ ولا لعب عيال! وقوامه أمران تحديدًا هما المسئولية والنجاح، وهذا الكلام بالذات يحتاج إلى تفسير، لأن هناك أنواعًا من الحب تلقي بصاحبها إلى التهلكة!! وأراها تشبه العملة المزيفة بعيدًا عن الحب الجميل الراقي الذي يرفع صاحبه وشريك حياته إلى ما فوق السحاب.

## المحجبات والإجازات!

هل من حق الفتاة المحجبة الاستمتاع بالإجازة مثلما تفعل البنات اللاتي لا يرتدين الحجاب؟؟

أرى أن هناك ثلاث إجابات عن سؤالي سالف الذكر أختار منها إجابة الوسط التي تتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة وأرى أنك ستوافقني على ذلك الرأي، الأول: يمثل الكارهين للحجاب والمحجبات ويقول: لا طبعا ليس من حقها أن تكون فتاة عادية تستمتع بالإجازة والشمس والبحر. أو بتعبير المطربة ليلى مراد، رحمها الله، «بحب اتنين سوا.. الميه والهوا!!!»

ووجهة نظره التي أرفضها خلاصتها: المحجبة وضعت نفسها في قفص حديدي باسم الدين وعليها أن تتحمل نتيجة ذلك!! وكان الله في عونها وذلك الحجاب على رأسها في عز الصيف والحر!! وصاحب هذا الرأي لا يدري عن الإسلام شيئًا! وربنا يهديه!

والرأي الثاني: يمثل التديّن المتشدد، إنه يضع ألف قيد وقيد على استمتاع المحجبة بالإجازة والصيف وآهٍ لو تم ضبط واحدة

ملتزمة مع شلة بنات زيها على البلاج وشاطئ البحر.. عقاب شديد في انتظارها وتبقى وقعتها سودة!! وهذا الموقف المتزمت يعطي الكارهين للحجاب السلاح الذي يطعنون به إسلامنا الجميل ويؤكد وجهة نظرهم من أن الالتزام يعني طلاق الدنيا وأن تقول لها: بالسلامة!

والرأي الثالث: أقف له احترامًا مع تعظيم سلام كمان وينطلق من الآية القرآنية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأعراف: ٣٢) وقوام هذا الفكر أن الحلال هو الأصل والحرام استثناء وليس العكس! ولا يمكن أن تطلب من شابة في أوائل العشرينات من عمرها أو أقل أن تتصرف وكأنها في الأربعين أو امرأة شبعت من الدنيا. من حقها أن تعيش سنها وكل ما تطلبه منها أن تحترم حجابها وتبتعد عن العيب.. ويعني ذلك أن ما فيش تناقض بين الحجاب والانطلاق في الدنيا ما دامت بعيدة عن كل ما يغضب ربنا وأتمنى لك إجازة سعيدة.

## المرأة الصالحة أجمل ما في الدنيا

هناك حديث نبوي شريف وصحيح ومع ذلك لا تسمعه إلا قليلًا من علمائنا الأجلاء وفيه يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة».. وهذا الكلام النادر من خاتم الأنبياء يشير إلى أمور ثلاثة، وأول ما يلاحظ فيه أن إسلامنا الجميل لا يخاصم حياتنا على الأرض. بل يدعو المسلم إلى التمتع بها. وكلامي هذا قد تتعجب له حضرتك لأنه يتناقض مع ما يذهب إليه العديد من الفقهاء الذين يطلقون صيحات التحذير من الدنيا ويدعون إلى الإقلاع عنها. ومن أجل التأكيد على كلامهم فإنهم يستشهدون بآيات القرآن والأحاديث النبوية التي تلعن الدنيا وفي الرد على هذا التشدد قال علماؤنا الأجلاء الذين ينتمون إلى مدرسة إسلامنا الجميل إن هذا التحذير مرجعه الخوف من نسيان الآخرة والانغماس في هذه الحياة الفانية وعدم الاستعداد للقاء رب العالمين في حياة أخرى خالدة، والفائز الحقيقي هو الذي يستحق تعظيم سلام هو الذي ينجح في الجمع بين الحسنيين وهو حياته على الأرض والحياة التي تبدأ بعد موته فلا تناقض ولا تضاد.

والشطر الثاني من الحديث النبوي سالف الذكر يشير بوضوح إلى أن أجمل ما في حياتنا المرأة الصالحة، ولاحظ أنه لم يكتفِ بذكر بنت حواء وحدها بل اقترن بها الخلق القويم ويعني أن تكون صالحة.. وهذا صحيح فهي بأخلاقها نور يساعدك في السير في طريق النجاح وهذا من حسن حظك، أما لو كنت سيئ الحظ فإنك.. ستقع في امرأة لا أخلاق لها تكون بمثابة نار تحرقك وتلقي بك إلى التهلكة.. ولذلك فشريك حياتك إما نعمة أو نقمة ولاحظ التشابه الشديد بين الكلمتين لكن الفارق بينهما شاسع فهي إما أن ترفعك إلى القمة أو تخسف بك الأرض.. وأنت وحظك يا بطل..

وأخيرًا يلاحظ أن العلاقات مع بنات حواء يجب أن تتم في إطار شرعي يرضى عنه الخلق والدين.. والمرأة الصالحة لا تقبل هذا الذي يلعب بها ويلعب بذيله!! ويريد أن يتسلى بها في علاقة آثمة باسم الحب المفترى عليه.

## فاظفر بذات الأخلاق

جاء في الحديث النبوي الشريف: «تنكح المرأة لأربع لجمالها وحسبها ومالها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» أو كما قال سيدي رسول الله. وفي النظرة إلى هذا الكلام النبوي الشريف، فإن هناك عدة مفاهيم تحتاج إلى تصحيح عند بعض الناس، فهناك من يتصور أن هذا الحديث دعوة إلى الزواج من امرأة أخروية!! يعني بنت كرّست نفسها للآخرة ولا صلة لها بالعوامل الدنيوية من الجمال والمال والحسب والنسب، هذا تصور خاطئ، والسبب أن إسلامنا الجميل جمع بين الدنيا والآخرة. وهذه ميزته وعظمته، والمقصود من كلام نبينا أن يكون للدين مقامه الأول في الاختيار دون تجاهل العوامل الثلاثة الأخرى التي لو اجتمعت في امرأة واحدة فإنها تكون حواء بالدنيا وتستحق عشرة على عشرة، فهي عروس لقطة بكل المقاييس في هذه الحالة فقط. وهناك مفهوم آخر غلط يقع فيه العريس سيئ الحظ وهو يبحث عن عروس المستقبل، فهو يتزوج بمن تأخذ بالتعاليم الإسلامية من حيث الشكل فقط ولكن سلوكها في وادٍ آخر! وبذلك يشرب أكبر مقلب في حياته!

وما أعنيه أن «هذا المقلب» قد تكون فتاة محجبة وتؤدي الفرائض بانتظام، ولكن لسانها طويل مثلًا!! وقد تواجه بمجموعة من البذاءات تشبه طلقات الرصاص تنطلق مثل المدفع الرشاش، فهي سليطة اللسان، ولا تعرف أدب الخلاف، فكيف يرضى أي إنسان عاقل أن يعيش معها العمر كله إلا إذا كان يحب النكد!! وقد تكون تلك العروس النكدية متديّنة ظاهريًّا، لكنها في الحقيقة إنسانة جشعة تحب الفلوس، وتعمل دوما على استنزاف زوجها سيئ الحظ الذي يكتشف حقيقتها بعد فوات الأوان! وأرجوك أن تنظر بعد تفضلك بقراءة هذه الصفحة إلى عنوانها من جديد «فاظفر بذات الأخلاق»، فستكون بالتأكيد متدينة وملتزمة وسلوكها زي الفل، وبذلك يجتمع فيها الحسنيين: الدين والدنيا.

## ذات الحسب والنسب!

آهٍ لو وقع اختيارك لشريك العمر على عريس أو عروس تنتمي لتلك الطائفة.. أقصد عائلة عريقة وجدها كان فلانًا أو كبير الأسرة كان من باشوات زمان! النتيجة أن حضرتك ولا حاجة إلى جانب هؤلاء، وستدفع غاليًا ثمن غلطة عمرك لأنك سارعت إلى الارتباط بهم دون تروٍ جريًا وراء المظاهر الكاذبة! وقبل أكثر من ١٤٠٠ سنة حذر نبي الإسلام «كل عريس» من اختيار زوجته على أساس أصلها وفصلها!! وطالب بنكاح المرأة ذات الدين، مع أنه عليه الصلاة والسلام كان ينتمي إلى أعرق العائلات بالجزيرة العربية وهي أسرة بني هاشم، ولها مكانتها الكبيرة في مكة المكرمة..

وأتساءل: هل من الخطأ أن تكون رفيقة عمرك بنت أصول؟

الإجابة بداهة بالنفي! والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحالة عن أسباب التحذير النبوي من الجري وراء تلك النوعية من النساء!؟ والإجابة واضحة وتتمثل في رفض أن يكون العريس «مدب»!! يجري وراء المظاهر والفلوس، بينما الأخلاق عنده

في مرتبة متأخرة! وقد يتزوج من بنت «فلان» لأنه واثق أن زواجه هذا سيكون خطوة إلى الأمام في حياته، ووالد العروس بالتأكيد لن يبخل عليه بالمساعدة، فهل هذا منطق؟ وعندما يتزوج الإنسان فإنه يختار باقة ورد فيها أنواع مختلفة من الزهور والياسمين والفل، وعريس الغفلة هو الذي يصر على أن تتكون باقة زهوره من نوع واحد فقط!

فيختار مثلًا ذات الحسب والنسب غافلًا عن تدينها وأخلاقها وثقافتها وتكون النتيجة مقلبًا ساخنًا جدًّا يظل يتجرعه بقية عمره، وهذا من صنع يديك يا حضرة! وفي يقيني أن العريس صاحب الحظ السعيد هو من ينجح في اختيار بنت لطيفة ذات الأصل الطيب وأهلها طيبون! يعني جمعت بين اللطف والتربية السليمة، ولا يهم بعد ذلك أن يكون أهلها من البشوات أو الناس العاديين! ويكفي أن تكون هذه الأسرة ذات أخلاق، وأنت يا سيدتي لو نجحت في اقتناص شاب بهذه المواصفات «جنتلمان» وابن ناس طيبين فسيكون بالتأكيد «عريس لقطة»..

## مصطفى أمين يكسب!

في يقيني أن هناك فرقًا واضحًا بين عيد الحب عندنا وعندهم.. أقصد الأجانب! وعملاق الصحافة المصرية مصطفى أمين، عليه ألف رحمة، دعا للاحتفال بعيد الحب يوم ٤ نوفمبر، وكان صاحب قلب ذهبي، وتلك العاطفة النبيلة ذات مفهوم واسع عنده تشمل الدنيا كلها، ولا تقتصر على العلاقات بين آدم وحواء! وعيد الأستاذ فالنتين يركز بالدرجة الأولى على العاطفة بين روميو وجولييت! وعندنا يبقى قيس وليلى! ويسود اللون الأحمر تلك المناسبة! وتقام الحفلات لهذا الغرض، وأحيانًا تجد خروجًا سافرًا على الآداب العامة والأخلاقيات! ومن المؤسف أن هذا التقليد بدأ في الانتشار بين بعض أبناء الجيل الجديد الذي ينتمي إلى طبقة الأثرياء! وإذا قارنت حضرتك بين عيد الحب المصري، وذلك الأجنبي فإنني أرجو أن تقول معي: ربنا يرحم مصطفى أمين ألف رحمة، ولا شك أنه الفائز في تلك المقارنة لأن الحب عنده شامل من ناحية ويحترم سيدتي الجميلة من ناحية أخرى، بعكس حب الفالنتين الذي يقوم

بتوثيق الروابط حتى غير الشرعية منها - بين حواء والغرام والهوى! لذلك أتمنى أن تنتشر «فكرة» عيد الحب المصرية بين شباب الأثرياء بدلًا من الهلس وتقليد الخوجات! ولعلك لاحظت أني وضعت قوسين حول كلمة «فكرة»، فقد كانت أشهر عمود في الصحافة المصرية كلها، وكان القارئ يبدأ بقراءة جريدة الأخبار من الصفحة الأخيرة تشوقًا إلى كلمات عملاق الصحافة المصرية مصطفى أمين الذي استمر بفكرته سنوات طويلة حتى وفاته، وكان قد بدأ في كتابة فكرة خلفًا لتوءم روحه علي أمين الذي توفي سنة ١٩٧٦ م.

وأختتم كلامي بأغنية ست الحبايب للمرحومة فايزة أحمد، وعيد الأم الذي دعا إليه التوءمان من أشهر أعياد الدنيا في مصر، وفيه تجد قمة الحب.

# كلمة مودة كلها مودة

القرآن الكريم تحدث عن الزواج في سورة الروم آية: ٢١ قائلا: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. وهذه الآية أراها من معجزات كتاب الله ولا يمكن أن تكون من صنع بشر.. فخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام كان يعيش في بيئة صحراوية وسط عرب أجلاف لم يعرفوا رقة القلب إلا بعد مجيء الإسلام، وإذا تأملت تعبيرات إسلامنا الجميل عن الزواج تجدها رومانسية.. انظر مثلًا إلى تعبير «لتسكنوا إليها».. فيه من الروعة للحديث عن حسن المعاشرة بكلمات رقيقة ودقيقة تنفذ إلى الهدف المطلوب مباشرة.. وتوقفت طويلًا عند: «وجعل بينكم مودة ورحمة».. وكلمة مودة كلها مودة تشتمل على معانٍ كثيرة من الخير مثل الأدب وحسن الخلق والمداعبة واللطف والدلع.. وأطلب من حضرتك أن تطلق خيالك معي لاستيعاب مختلف المعاني التي تحتويها تلك الكلمة!!

ويلاحظ أن القرآن الكريم قدم المودة قبل الرحمة في ترتيب

مقصود ومتعمد، فالمودة لا بد أن تؤدي تلقائيًّا إلى أن يكون شريك العمر رحيم برفيق حياته! لكن العكس غير صحيح! فيمكن أن يكون الزوج مثاليًّا في تعاملاته مع امرأته وعلاقته معها «على سنجة عشرة» بالتعبير العامي.. يعني لا تستطيع أن تأخذ عليه غلطة! لكنه جاد ومتجهم وصارم ولا يعرف الدلع والمداعبة والمودة، أي تنقصه حرارة الحب، ولذلك قدم القرآن المودة لتأتي قبل الرحمة، وختم ذلك قائلا: إنها موجهة ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهي كلمة أخرى دقيقة.. حقًّا إن القرآن معجزة ولكن أكثر الناس لا يعلمون، بل يقبلون عليه بطريقة تلقائية روتينية تخلو من التفكير بعمق في معانيه.

## جميل جمال!

في عصرنا النكد إذا تحدثت عن جمال الروح قوبلت بسخرية!

فالغالبية لا تعترف إلا بحلاوة الجسد! أما ما أتحدث عنه فهو غير موجود إلا في النظريات والكتب! والعديد من أغاني الطرب تشجع الإقبال على قوام المرأة بغض النظر عن أخلاقها! وأتذكر بهذه المناسبة فريد الأطرش رحمه الله وأغنيته المشهورة «جميل جمال ملوش مثال ولا في الخيال صدق اللي قال زي الغزال»!

وقد حذرنا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام من اللهث وراء هذا النوع من الجمال فإذا تزوجت امرأة لأن حضرتك وقعت أسيرًا لجمالها «فذنبك على جنبك» وستأخذ أكبر مقلب في حياتك!

وفي يقيني أن جميل جمال يجب أن يشمل بالدرجة الأولى أخلاقها وتدينها وشخصيتها، فهذا هو الجمال الحقيقي! والجميلة بمقاييس عارضات الأزياء مصيبة!! والزواج منها بلاء! وهي عادة تكون مصابة بداء الغرور! ولم لا؟ وهي ترى خلق الله يلهث خلفها إلا من رحم ربي!

ولا يعقل أن تكون تلك «السنيورة» بسيطة متواضعة. بل أراها سترهق زوجها بمطالبها، فهو بالنسبة لها بنك لا ينضب حتى لو أفلست كبرى البنوك العالمية كما رأينا في الأزمة الاقتصادية الأخيرة! ومسكين هذا المغفل الذي هو شريك عمرها وبالتأكيد ستركبه غيرة مجنونة عندما يرى كل من هب ودب يطارد امرأته وهي تشجعهم على ذلك بسلوكها الخليع..

وسيدتي الجميلة ستكون حواء بالدنيا إذا اجتمع الجمال مع الأخلاق والأدب! في هذه الحالة فقط سيرتقي جمالها ليصبح جمالا راقيا فيه شياكة، وتصبح نعمة على زوجها المحظوظ الذي تجمع امرأته جمال الدنيا بأنواعها.. مادية وروحية، مع ملاحظة أن الأخيرة هي الباقية بينما تزول الأولى حتما بتقدم السن، فالدنيا فانية ولا يبقى شيء على حاله..

## ممنوع التشدد والنسيان!

ما أخشاه على بنات حواء بعد أداء فريضة الحج.. التشدد والنسيان! وأراهن أن الدهشة طرأت على وجهك وأنت تتساءل يعني إيه؟! وما المقصود بالضبط؟ وهل هي محاولة للجمع بين الشامي والمغربي؟!

والإجابة ببساطة... إنني أتطلع إلى سيدتي الجميلة بفطرتها الطبيعية.. فطرة الله التي خلق الناس عليها، والإنسان، عادة، يعرف خالقه بفطرته دون أن يحتاج إلى معلم! وأعداء تلك الفطرة التشدد والنسيان.. يعني تطرأ على بنت حواء ظروف في حياتها تخرجها عن طبيعتها وتجعلها تميل إلى التشدد وطلاق الدنيا كلها التي لا تساوي جناح بعوضة! فهي تعتقد أنه من الأفضل لها أن تعتزل الناس وتركز على العبادات، خاصة أن هذه الحياة لا أمان لها.. نتيجة لانهيار فادح وفاضح في الأخلاقيات! ويأتي الحج ليكون البوابة العملية لاعتزال خلق الله والابتعاد قدر الإمكان.. فهل هذا ما يدعو إليه الإسلام؟

والنوع الثاني الذي أعنيه ينطبق عليه المثل الذي يتحدث عن ريما وعادتها القديمة! فهي قد نشأت في بيئة غير متديّنة وكانت بعيدة عن معرفة خالقها، ثم هداها الله وقررت الذهاب إلى الحج، وهذا من فضل ربنا عليها وكرمه وتوفيقه ولكن أخطر ما يمكن أن تتعرض له بعد عودتها تلك البيئة الفاسدة التي لا تشجع على التدين! والخطر هنا أن يتلاشى تأثير الحج عليها بمرور الزمن!

تنسى وتبقى تلك الفريضة كذكرى جميلة فقط! ويلاحظ أن تلك الحالة عكس الأولى التي تريد الابتعاد وقطع الصلة بالحياة، أما سيدتي هذه فهي منغمسة تمامًا في الدنيا تفكر وتنظر فقط تحت قدميها! واليوم الآخر عندها بعيد.. بعيد.. مع أن الإنسان في النهاية ذاهب إلى القبر وعالم جديد عند رب العالمين!

والخلاصة أن الخطر الذي يهدد الأولى هو التشدد، بينما الثانية معرضة للنسيان، ويا رب تحفظ بنت حواء وآدم من هذا البلاء وذاك.

## البنت زي الولد!

أهم الدروس المستفادة من فريضة الحج، المساواة، وتنقسم إلى قسمين: دروس خاصة بالأغنياء والفقراء، وأخرى لأولاد آدم وبنات حواء.

وأركز على الثانية لأنها تحتاج إلى كلام، بعكس الأولى، التي هي أكثر وضوحًا.

وأشرح ما أعنيه بأن هناك من يعتقد أن المرأة مهمتها خدمة الرجل، يأمرها فتطيع!

لكن إسلامنا الجميل يرفض تلك العقلية، بل ويراها على قدم المساواة معه.. والحج دليل على ذلك، فهي تؤدي ذات المناسك التي يؤديها الرجل. بل ولا تنقص عنه مثقال ذرة! بل إن السعي بين الصفا والمروة يؤكد تقدير ديننا لحواء! والبركة في «ستنا هاجر» زوجة سيدنا إبراهيم، عليه السلام، التي تركها وحيدة في الصحراء استجابة لأمر ربه وهو اختبار لا يقدر عليه إلا ألو العزم من الأنبياء ولا يتحمله بشر!

ونجحت الزوجة في الامتحان الرباني، وبعدما توكلت على الله أخذت تسعى بين الجبلين..الصفا والمروة بحثًا عن الماء لإنقاذ نفسها ووليدها. وفي الشوط السابع وبعدما كاد اليأس يزحف إلى قلبها تفجرت ينابيع الماء في آخر لحظة! ومكافأة لها على تلك البطولة قام الله بتخليدها، وجعل هذا السعي من شعائر الحج الأساسية! فهل يعقل أن تكون المرأة بعد هذا التكريم ناقصة عقل ودين وخاضعة لسيدها الرجل، كما يزعم المتشددون؟

فالاحترام هو الأساس بين الرجل والمرأة!

وأخيرًا فإن المسألة تعني باختصار: البنت زي الولد ومش كمالة عدد والموسيقى المصرية نجحت في ترجمة هذا المعنى إلى أغنية لطيفة وظريفة ورحم الله صاحبتها.

## الحب سمعته سيئة!

احترس من تلك التي تسرف في الحديث عن الحب، وخلي بالك من كلامها الذي ينطبق عليها غالبا المثل الشائع «باب النجار مخلع»!

فهي في معظم الأحيان مطلقة أو واحدة ماشية على حل شعرها! وهي تقول: «لا أستطيع أن أعيش بدون حب»، وأراها كلمة حق يراد بها باطل، والمقصود أن تكون دوما في حالة غرام وهيام، وقلبها في هذه الحالة مثل الفندق! يكثر الداخلون إليه والخارجون منه!

فهذه العاشقة تمل بسرعة، ولا تتصور رجلًا يتزوجها على سنّة الله ورسوله ويسعدها العمر كله، فهي من هواة المغامرات الغرامية!! والهيام وكلام الأغاني وسهر الليالي، وصدق من قال: يا أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك! وهل تتصور أن يكون الحب سمعته حلوة، وفيه تلك النوعية من النساء، ولهن صوت عالٍ، وأفلام السينما العربي تعبّر عنهن أفضل تعبير! وهذه

الأخلاقيات لا تطيح فقط بالقيم والأخلاق، بل أراها في سنة أولى حب أو في «روضة الغرام»!!

والسبب أن الغرام يتطور ودقات قلوب المراهقين مختلفة عن حب الإنسان الناضج، ولكن هذه المرأة تصر على أن تكون مراهقة في حبها، لا تريد تحمّل مسئولياته، لا زواج ولا تربية أبناء، ولا تكون جدة لها أحفاد! عايزة تحب وبس! وحظه أسود من يتزوجها! وسرعان ما ينتهي الأمر بالطلاق من تلك «الست الدلوعة» بعد أن يشرب صاحبنا هذا مقلب عمره، وربما تدهورت صحته وتأثر عمله.. يعني باختصار خراب بيته! ولا يمكن أن يكون هذا هو الحب! فتلك العاطفة لها معنى آخر مختلف تمامًا، ومن فضلك انتظرني حتى أحدثك عنه.. إن شاء الله.

## تزوج من معجزة!

عندما جاء نور الإسلام إلى الدنيا، كانت النظرة إلى الدنيا غاية في التخلف! فالرجل يعامل امرأته كخادمة عند حضرته! مهمتها الوحيدة في الدنيا رعايته، وتلبية طلباته، وتنفيذ أوامره! وقد شرح لنا القرآن الكريم أن العرب كان يصيبهم الغم والحزن إذا أنجبوا البنات! وقد يسارع الواحد منهم إلى دفن فلذة كبده وهي حيّة في التراب، وجريمتها الوحيدة أنها أنثى! وفي بلاد الهندوس فإن وفاة الزوج تعني أن تنتهي حياة زوجته معه! فعليها أن تقتل نفسها، فلا معنى للدنيا بعده!! وقد تفضلوا عليها بأن تركوا لها حرية الاختيار في كيفية إنهاء حياتها هل يتم ذلك بحرقها أم بذبحها أو أنها من الأفضل أن تموت بالسم!

ووضع المرأة في بلاد العرب حيث نزلت الرسالة السماوية كان بالغ السوء، فلا قيمة لها، بل هي متاع يورّثه الأب إلى ولده! ولا تسألني عن حقوقها فيكفيها أنها على قيد الحياة!

ومن هنا رأيت «خديجة بنت خويلد» معجزة نسائية بكل المقاييس!

نجحت في تحدّي كل التقاليد الظالمة للأنثى في بيئتها وشقت طريقها، وأصبحت صاحبة تجارة وأموال يعمل في خدمتها الرجال! وهو أمر نادر أو قل استثناء بكل المقاييس! وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محقًا عندما وافق على الزواج منها بناء على طلبها، وإبداء المرأة رغبتها في الارتباط بالرجل الذي تحبه أمر لم يكن مألوفًا أبدا! ولا تجده حتى في عصرنا الحديث.. لقد فضلها نبي الإسلام على نساء العالمين رغم فارق السن بينهما، وظلت زوجته الوحيدة حتى ماتت..

حقا لقد تزوج من معجزة.

## نموذج رائع للحب الحقيقي

بدأت الكلام عن سيدة عظيمة جدًّا في تاريخ الإسلام وهي السيدة «خديجة بنت خويلد» زوجه النبي صلى الله عيه وسلم، ورأيتها معجزة بكل المقاييس، والسبب أنها استطاعت اختراق التقاليد الجاهلية التي تسحق المرأة، ونجحت في أن تكون صاحبة مكانة وتجارة. ومن خلال عملها تعرفت على محمد عليه الصلاة والسلام وأعجبتها أخلاقه وصفاته النبيلة، وأبدت رغبتها في الارتباط به في سابقة فريدة من نوعها لمجتمع لا يعطي لحواء أي قيمة أو حق.

وبعد الزواج رأينا هذه السيدة الجليلة نموذجًا وقدوة رائعة لكل العصور والأجيال في الحب الحقيقي. وبهذه المناسبة أطالب حضرتك بأن تحترس جدًّا من تلك المرأة التي تتحدث كثيرًا عن الغرام والهيام، ولا تكف عن الرغي في هذا الموضوع! فهذا الأمر قد يكون ستارًا لانحرافها مثل قولها: «قلبي لا يكف عن الدق والحب»!! ومعنى هذا الكلام ببساطة أنها «ماشية على حل شعرها»، ولا تجد رجلًا يقوم بتأديبها!

وسيدتي العظيمة خديجة وأمثالها من الصالحات تجد الواحدة منهن مختلفة تمامًا عن النساء الفاسدات، بل لا وجه أساسًا لأي مقارنة، وعيب أن يحدث ذلك! وزوجة النبي عليه الصلاة والسلام تمثّل الحب على حقيقته بعيدًا عن التزييف! ويحكي التاريخ أنها وقفت إلى جانب رسولنا في أشد الساعات ظلمة، ويكفي حواء فخرًا إلى يوم القيامة أن خديجة أول من آمنت برسالة الإسلام قبل أي رجل! وكانت بمثابة الحضن الدافئ لزوجها النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في أيام الدعوة الأولى! وأعجبني فيها كذلك أنها حرصت على أن تكون دومًا في الظل! ورغم أنها عاشت معه أكثر من عشرين سنة فلا تعرف من أخبارها إلا قليلًا! حقًّا إنها امرأة فريدة من نوعها، وكانت خير معين لخاتم الأنبياء، وعندما ماتت سميت تلك السنة التي ماتت فيها بعام الحزن، وظل سيدنا النبي يذكرها دومًا بالخير.

وأختم قائلًا: سيدتي خديجة.. ما أعظمك.

## متى يكون عمل المرأة فرضًا على المجتمع؟

قبل أن تحتج على هذا العنوان أقول لك إن هناك أعمالًا يجب أن تقوم بها المرأة، وفي هذه الحالة يكون عملها فرضًا على المجتمع وأظن أنك توافقني على ذلك!

وقبل أن أشرح لك ما أقصده أقول لك إن إسلامنا الجميل قوامه الوسطية في كل أمور الدنيا، وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فانظر إلى موقفه من عمل سيدتي الجميلة! فهناك من يرفض هذا الأمر على وجه الإطلاق «وما عندوش تفاهم» في هذا الموضوع، وفي مقابل هؤلاء تجد رأيًا متطرفًا آخر قوامه «البنت زي الولد مش كمالة عدد»!! فهي تعمل مثل الرجال تمامًا لا يشغلها في هذا الأمر شاغل ولو كانت الحياة الزوجية!!

وإسلامنا الجميل له وجهة نظر مختلفة يتوسط كل الآراء المتضاربة، فهو يؤكد أولًا أن بيتها هو أساس حياتها ويشدد على ذلك، ويا بخت زوج تحرص شريكة عمره على رعايته وتربية أبنائه! وهذا الأمر أراه من الفطرة الإنسانية السليمة واسأل أي امرأة فإنها

ستقول لك على الفور: «أولادي بالدنيا، وأهم عندي من أي وظيفة وكنوز الأرض كلها»! وتستوي ذلك سيدتي المتدينة، والأخرى التي لا تعرف ربنا، لأن الأمومة فطرة!

ومن ناحية أخرى فهناك مجالات نسائية لا بد أن تشغلها النساء! وعيب جدًّا أن تجد رجلًا مثلًا في محل نسائي! أو مدرسًا في مدرسة بنات! وقد ارتضى جزء من مجتمع الرجال للأسف أن يعمل في تصفيف شعر النساء أو في الموضة والأزياء التي تتعلق ببنات حواء، وهذا ما لا أستريح له! لأن هذه الأعمال تخص النساء بالدرجة الأولى! ولا يعقل أن يقول أحد لسيدتي في هذه الحالة: «اجلسي في بيتك والرجل أولى منك بشغل تلك الوظيفة النسائية»!!

## فلوسها على قدها!

قلت إن العمل أحيانا قد يصبح فرضًا على سيدتي الجميلة، وكنت أقصد بذلك التخصصات النسائية.. ومش معقول مَدرسة بنات تجد مدرسًا للطالبات الحلوين بدلًا من مُدرِّسة تنتمي إلى حواء!! وهناك حالة أخرى تجد سيدتي فيها تسعى للعمل عندما تكون «فلوسها على قدها»! يعني بالعربي الفصيح تشكو الفقر، وعايزة تعيش حياتها وتستمتع بالدنيا مع العلم أنها متدينة وبتعرف ربنا فليست من أولئك النسوة والواحدة منهن بعيدة جدًا عن مواصفات سيدتي الجميلة فهي تنتمي إلى «بنات الإيه» بالتعبير العامي!! والمقصود أنها «ماشية» على حل شعرها!! ومجال العمل فرصة ممتازة لذلك، خاصة عندما يكون الاختلاط هناك «سداح مداح» وبلا ضابط أو رابط!!

وسيدتي الجميلة التي أقصدها مختلفة تمامًا، فهي تريد العمل بغرض الارتقاء بمستوى حياتها، وتلاحظ عليها أنها إنسانة جادة «فلا تريد اللعب بديلها»! أو قضاء وقت العمل في التسلية!! فالشغل

عندها «عمل بجد»! وهي هنا بين حالتين: قد تعيش مع أسرتها ولم تتزوج بعد ويقول لها المسئول عنها وهي تتسلم عملها: «على بركة الله يا بنتي» فليس عليها مسئوليات سوى العمل وعليها أن تتفوق وتثبت وجودها.

والأمر الثاني يحتاج إلى وقفة، وهي حالة أن تكون متزوجة وعندها صبيان وبنات.. وعايزين يعيشوا في «تبات ونبات» بالمثل الشعبي المتداول فلا يمكن أن تهملهم بحجة الشغل وحضرتها «مش فاضية» وليضرب الزوج رأسه في الحائط أو يشرب من البحر وسيدتي التي ينطبق عليها لفظ جميلة تعلم تمامًا أن بيتها في المقام الأول وعملها يكون بالاتفاق مع شريك العمر مع العلم أنه المسؤول الأول عن الإنفاق على المنزل حتى ولو كانت امرأته تعمل.. وهكذا قالت كتب الفقه الإسلامي، وتبقى حالة ثالثة فيها المرأة وهي أن تكون عبقرية في مجالها والدولة في حاجة إليها.

## استقالة عالمة ذرة!

هذه قصة شهيرة لأبي إحسان عبد القدوس، رحمه الله، أراد بها أن يؤكد بفنه الجميل أن المرأة مكانها الأول منزلها، ويأتي عملها «بعدين ولو كانت عالمة ذرة»!! واسأل أي واحدة سوية من بنات حواء عن هذا الموضوع فتقول لك بتلقائية: «ابني بالدنيا» وعملي بجانبه «ولا حاجة»! وقلت من قبل إن المرأة تعمل في حالات ثلاث يعني «الثالثة تابتة» بالتعبير العامي..

والحالة الأولى: وهي فرض عليها حيث يتوجب أن تعمل في تخصصات نسائية مثل مدارس البنات وأزياء النساء وغيرها!

والحالة الثانية: هناك دافع آخر ويتعلق «بواحدة عايزة تعيش حياتها» دون إسراف وتبذير، ولكن مشكلتها أنها على «قد حالها» وتشكو الفقر! ففي هذه الحالة يجوز لها أن تعمل بالاتفاق مع زوجها بشرط أن تمارس عملها «بجد» ولا تذهب هناك للتسلية وتضييع الوقت وتأخذ مرتبها أول الشهر!

ونأتي إلى الحالة الأخيرة أو استقالة عالمة الذرة!! ويقصد

بها أن تكون حواء هذه عبقرية في مجالها! أو شاطرة جدًّا، ومن الأفضل للدولة أن تستفيد من تفوقها في هذه الحالة، لكن يبقى بيتها هو الأساس وعملها الذي برعت فيه أمر ثانوي إلى جانب العناية بأطفالها، وقصة والدي الحبيب عليه ألف رحمة تؤكد ذلك، فقد تزوجت العالمة من عالم مثلها وكان تفكيرها كله مركز في عملها، عندما أنجبت ابنها الوحيد أخذ يمرض لأنها مهملة في حقه، وأوكلت العناية «إلى دادة أجنبية» تتقاضى مرتبها بالدولار! والحق أنها بذلت جهدها في العناية به. لكن ما فيش أحسن من الأم وقلبها الذهبي ولهفتها على فلذة كبدها!

ورأت في استمرار هذا الوضع كارثة، وأن ابنها يوشك أن يضيع منها فتركت عملها حتى يشب ولدها عن الطوق واستقالت عالمة الذرة التي قل أن تجد لها نظيرًا في مجالها لأن ابنها في حاجة إليها.. وهكذا تفعل كل امرأة شاطرة.

## الفارق كبير بين المفترية والقوية

يقولون عن «الست» المفترية إنها قوية وجدعة وهذا ما أعترض عليه، فهناك فارق بين تلك المفترية والأنثى القوية التي لم تفقد بعد أنوثتها وتنتمي إلى سيدتي الجميلة:

الأولى يمكن أن تصفها بأنها بمثابة وحش بشري!! يعني تدخل عالم الحيوانات أكثر من حياة الإنسان وهي نموذج رائع للمرأة المسترجلة، ويا ويل زوجها! أراه يستاهل كل ما جرى له بعدما وقع في غلطة عمره وتزوجها! وتأديبه على يديها يمكن أن يصل إلى حد الضرب بالشبشب أو حتى بحذاء قديم إذا لم يسمع الكلام.

و«المفترية» لا يمكن أن تكون ست بيت من الطراز الأول أو حتى من الدرجة الثالثة وانسى حكاية رعايتها لزوجها، بل هي على العكس مصدر خوف وقلق وإزعاج دائم! ومستحيل أن تكون في خدمة بيتها بل الجميع تحت أمرها، فهي مسيطرة عليهم بسطوتها، والحب لا يعرف طريقه إلى هذا المنزل.

ولو كانت تعمل فإنني أراهن أن وظيفتها تحتل المرتبة الأولى

عندها وتشغل معظم وقتها بينما أسرتها تأتي في مرتبة متأخرة ولا تتعجب إذا رأيتها تصل إلى درجة مديرة أو ريسة فهي تستحقها لكنني كنت أفضل أن تصل إلى هذا المنصب الرفيع امرأة تنتمي إلى إسلامنا الجميل أقصد المرأة القوية وليست المفترية وإذا كنت قد وقعت في يدها فإنني أشفق عليك وأدعو لك بالتحرير والخلاص، وفيما بعد سأتحدث بإذن الله عن سيدتي صاحبة الشموخ القوي وهي تختلف اختلافًا جذريًّا عن تلك التي حدثتك عنها والتي قالوا عنها إنها مجدع مع أن تلك الكلمة مظلومة معها!!

## مواصفات حواء القوية

تحدثت عن الفارق بين المرأة المسترجلة والقوية وركزت على مواصفات الأولى، وخلصت أنها «ست مفترية» بينها وبين حواء الحقيقية هوّة واسعة وتراها أقرب إلى عالم الرجالة!! أما تلك التي تتميز بالقوة فهي تنتمي إلى سيدتي الجميلة بل يمكن أن تكون صورة رائعة لإسلامنا الجميل إذا تمسكت بتعاليم ربنا، وحرصت على إرضاء خالقها في تصرفاتها المختلفة.

والقوية لها ميزة أساسية، وهي حرصها على تحديد مستقبلها بنفسها وأن يكون قرارها بيدها.

وفي ذات الوقت تعلم أن لها «كبيرًا» فهي الابنة البارّة لوالديها، والزوجة المخلصة وأم درجة أولى، وتراها تحرص على التفوق إذا كانت تعمل ولكن ليس على حساب بيتها! والمفترية أو المسترجلة مختلفة تمامًا، فليس فيها شيء يذكر من الصفات الجميلة التي ذكرتها عن سيدتي القوية!

إنها واحدة أخرى مختلفة أو واحد ولا فارق!! وتراها دوما متمردة

وثائرة وساخطة، تحاول السيطرة على كل من حولها! وخناقاتها لا تنتهي مع زوجها الذي يجب أن يسمع الكلام وإلا فالويل له!! ولا تتعجب إذا نال علقة منها! أما القوية، فهي ند لزوجها وفي ذات الوقت «تخدمه بعينها» بالتعبير الشائع، وشريك العمر، يعاملها من منطق الاحترام ويحرص على حقوقها ما دامت تعمل على راحته! وهذا السلوك قوامه الحب والحرص على إرضاء ربنا بمعاملة حلوة داخل البيت وخارجه، وصدق سيدنا النبي عندما قال: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل».

## مواصفات العاملة الناجحة

بلادنا مع كل بلاد الدنيا تحتفل بعيد العمال! وبنات مصر دخلن كل المجالات والحمد لله، وزمان كانت كلمة «عاملة» تثير حفيظة الستات اللي فوق! يعني لو كانت تعمل وقلت لها أنت عاملة.. فكأنك قد وجهت إليها إهانة أو لطمتها على وجهها! الدنيا حاليًا تغيرت وأصبحت تلك الكلمة تنافس لفظ «الهانم»!!

وأول مواصفات سيدتي التي نزلت ميدان العمل إجادة ما تعمله، وهذا من الأمور البديهية! لكن هذا الشرط للأسف لا ينطبق على العديد من العاملات عندنا، فهن عبء على المكان الموجودات فيه، خاصة الوزارات والمصالح الحكومية والقطاع العام، ولا أبرئ «الرجالة» من تلك السلبية! بل ربما تجدها واضحة أكثر بين أبناء آدم! القطاع الخاص الذي نمى بسرعة في السنوات الأخيرة لا يعرف هذا الدلع! وكل واحدة لا تؤدي واجبها بإتقان يقولون لها على الفور مع السلامة ويتم الاستغناء عنها دون تردد.

والشرط الثاني بالإضافة إلى الإتقان والتفوق يتمثل في

الاحترام، وهذا الأمر له مظهر ومخبر! أو شكل وجوهر! فلا يعقل مثلًا أن تذهب إلى عملها بملابس فاضحة! أو كأنها تلبي دعوة إلى حفل «سواريه»! وهناك قد تراها وكل ألوان الزينة على وجهها من «بودرة» وخلافه! وعناية خاصة بالمكياج..

وأكاد أقول للواحدة من هؤلاء المتبرجات: إيه ده يا ست.. أنت في مكان عمل ولست في نادي! أو بارتي!!

إذا انتقلنا إلى الكلام في الجوهر، فإن الاحترام هنا يتمثل في أن تكون متحفظة مع زملائها.

وهذه الكلمة قد تثير دهشتك، لكن من فضلك دعني أشرحها لك.. لست، على كل حال، من دعاة الانغلاق! بل على العكس فإنني متهم بأنني إنسان متحرر! والتحفظ الذي أقصده هو الوسط بين التهريج والانغلاق! يعني متفتحة على زملائها ولكن في ذات الوقت لا تعرف الهزار ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منها أكثر من اللزوم، فهي في منطقة الوسطية التي يحبها إسلامنا الجميل.

وأخيرًا فإن أهم شرط يتمثل في حرصها على بيتها ورعاية زوجها وتربية أولادها! فالأمومة أجمل ما في حياة المرأة! واسأل أي واحدة من النساء لتتأكد من ذلك. لكن ماذا عن المرتب الذي تحصل عليه؟ أقصد ماذا يقول ديننا عن فلوسها؟! هل هي ملك خاص لها وحدها أم أن من واجبها إنفاق جزء منه على بيتها..

## متدين ولكن!

هناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث البنات ـ أو الصبايا بالتعبير الشامي ـ على الزواج من ابن الحلال المتدين الذي يعرف ربه، فإذا كان من نصيب العروس عريسا ناجحا في الدنيا، وفي ذات الوقت حريصا أيضًا على التفوق في الآخرة، فهو في هذه الحالة فقط يعتبر «لقطة» وجديرا بأن تتشرف به كل فتاة.

وملاحظتي الوحيدة على العريس المتدين أن يكون كذلك بالفعل وليس بتاع مظاهر. وأخطر شيء أن يكون هناك فجوة بين العبادات والسلوك.. يعني صاحبنا المقبل على الزواج زي الفل في صلواته وحافظ للقرآن وما فيش أحسن من كده! لكنه في تعاملاته مع الناس راسب وتقديره ضعيف!

طيب إزاي، وليه؟ أنه لا يسيء إلى نفسه فقط، بل إلى الإسلام كله! وأعداء ديننا استغلوا هذه الثغرة بالذات للتطاول على إسلامنا الجميل مستغلين سوء سلوك بعض أتباعه! وبالطبع ستكون زوجته

الضحية الأولى لتلك الفجوة فالمطلوب أن يكون تدينه بحق وحقيقي وشاملًا لتصرفاته المختلفة، ومن فضلك انتظرني لأخبرك بإذن الله عن سلوك «المتدين بصحيح» مع شريكة العمر وهي مختلفة تمامًا عن تصرفات صاحبنا الذي فهم الإسلام بطريقة غلط!

## حواء العاملة وفلوسها

أكدت أكثر من مرة أن سيدتي مكانها الأول بيتها، وأولادها بالدنيا، وصدق من قال: «المنزل مملكة المرأة»، واسأل أي واحدة ولو كانت غير متدينة فتقول لك على الفور وبفطرتها السليمة أولادي بالدنيا، وهم عندي في المرتبة الأولى، وأفضل من كل كنوز الأرض.

وفي يقيني أن الغالبية الساحقة من المتزوجات اللاتي يعملن، يفعلن ذلك لحاجة البيت إلى الفلوس، يعني تنزل إلى العمل لمساعدة زوجها، ولذلك فالسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح يتعلق بحواء العاملة وفلوسها: هل هي ملك خاص لها وحدها تنفقها على نفسها أم أن لبيتها نصيبًا من هذا المرتب؟

وعلماؤنا الثقات لهم رأي أعجبني في هذا الموضوع المهم.

وخلاصة قولهم تبدأ من الآية الكريمة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء: ٣٤). والقوامة تعني مسئولية، فالزوج هو المسئول الأساسي عن منزله.. والإنفاق على شريكة العمر والأولاد، ولذلك

أطلقوا عليه لقب «رب الأسرة»، ومن فضلك خلي بالك من هذه التسمية وأرجو أن تتأملها المرة تلو الأخرى.. وخرج شيوخنا الكرام من هذا الكلام بنتيجة، خلاصتها أن فلوس حواء العاملة ملك لها وحدها، ولا يجوز للزوج أن يلطشها أو حتى يشاركها فيها..

ولأنه المسئول الأول عن بيته. وبالطبع هذا الكلام سيدخل السرور إلى قلب حواء ينتهي بزغرودة.. ولكن من فضلك انتظري يا ستي.. فكلامي لم ينته بعد وخلاصة الشطر الثاني أنه لو كانت حواء العاملة بنت أصول وبتحب بيتها فستقدم جزءًا من فلوسها للإنفاق على منزلها من منطلق أنها ست جدعة تريد مساعدة زوجها بمحض إرادتها..

وفي هذه الحالة فقط تنطبق عليها مواصفات سيدتي الجميلة وتستحق كل الاحترام وتعظيم سلام كمان.. أما إذا كانت أنانية فستكون مقلبًا لزوجها ولا يلومن إلا نفسه لأنه أساء الاختيار منذ البداية.. فذنبه على جنبه.

## هل حظك من السماء؟

من أهم أسباب السعادة في الدنيا النكدة التي نعيش فيها أن تكون حياتك الزوجية زي الفل! وفي هذه الحالة فقط يكون حظك من السماء لأن ربنا أعطاك نعمة محروم منها كثير من البشر، فلك الحمد والشكر يا رب.

ومن فضلك انظر حولك لتعرف مقدار فضل خالق السماوات والأرض علينا فستجد أصنافًا ثلاثة من البشر، حياتهم الخاصة مضطربة، والحمد لله أنك لست منهم! فهناك أولًا: العازب والعانس وهما في سن الزواج ولا يقدرون عليه لأسباب شتى أهمها الفقر وأنهما لم يجدا بعد نصفهما الآخر.. وعدد هؤلاء كبير جدًّا، وتجاوزت نسبة كبرى من هؤلاء سن الخامسة والثلاثين وما زالوا في انتظار دخول القفص الذهبي.

والفئة الثانية التي تشكو من الاضطراب تتمثل في أبغض الحلال، وتشير أحدث الإحصاءات إلى أن حالات الطلاق ببلادنا ضربت رقمًا قياسيًّا ووصلت إلى ٧٠٠ ألف حالة سنويًّا، يعني أكثر

من خمسين ألف عائلة تهدم وتقع على رؤوس أصحابها شهريًّا، وبالطبع تزداد المأساة إذا كان هناك أطفال، فهؤلاء هم ضحايا الشقاق بين الأم والأب.

وأخيرًا تجد أناسًا متزوجين «ولكن مش تمام»، الخلافات تعصف بالمنزل وتجعله على كف عفريت! والنكد طابع الحياة اليومية فحياتهم لا تطاق! والمؤكد أنه لا يوجد منزل في الدنيا يخلو من «الخناقات» ولكن بالنسبة للسعداء من الأزواج فهذا بمثابة ملح في الطعام أو شوية «شطة»! أما غيرهم فإن الأمر يعتبر كابوسًا حقيقيًّا ويندم أشد الندم على هذا الارتباط! لكن هؤلاء الأزواج أراهم من الأبطال فهم يرفضون هدم بيوتهم بأيديهم، رحمة بأولادهم، وتعظيم سلام من القلب لهم.

# طلاق مفاجئ

إحصائية مفزعة عن الطلاق في مصر! وصدق أو لا تصدق.. عدد العائلات التي تتحطم سنويا ٧٠٠ ألف حالة! يعني أكثر من خمسة وخمسين ألف بيت يتحطم شهريًّا! نظرية تقول أن ٤٢٪ من أصحاب أبغض الحلال وهم شباب لا يتجاوز عمر زواجهم من السنوات أصابع اليد الواحدة أو أقل!

وهناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح: لماذا هذا الطلاق المفاجئ؟! وكيف تحولت الأفراح والليالي الملاح إلى كابوس في فترة قصيرة، وما أسباب تحول شهر العسل إلى بصل؟ والإجابة عندي ـ والله أعلم ـ تتمثل في كلمة واحدة اسمها «المظاهر»! أراها سبب البلوى ومن فضلك احترس منها جدًّا! وهي التي يظهر فيها الشخص بغير حقيقته في فترة الخطوبة والأيام الأولى للزواج، ثم يتضح وجهه الحقيقي ولكن بعد فوات الأوان حيث يظهر كل إنسان على حقيقته بلا رتوش!

وأغرب ما في هذا الموضوع كله قصص الحب الرائعة التي

تتحطم على صخرة الزواج تطبيقًا للمثل الشائع: «إذا دخل الزواج من الباب هرب الحب من الشباك»! ومع عدم اقتناعي بهذا الكلام الفارغ إلا إنه للأسف تجده حقيقة في حياتنا! وعلامات الاستفهام كلها أطرحها حول تلك المصيبة.. ليه وعشان إيه؟ إزاي تفشل قصة روميو وجولييت؟ ولماذا لم تنته نهاية سعيدة وبنين وبنات ويعيشون في «تبات ونبات» بالتعبير العامي.. وما الذي جرى وأدى إلى هذا الانفصال النكد؟ ومن فضلك فكر معايا.

## أصله وفصله!!

صدق أو لا تصدق ٧٠٠ ألف أسرة مصرية تهدم على رؤوس أصحابها سنويا يعني أكثر من خمسين ألف أسرة كل شهر تصاب بنكبة أبغض الحلال عند الله والمفاجأة في هذا المقام أن ٤٢٪ من هؤلاء الشباب لم تتجاوز أعمارهم الزوجية الخمس سنوات وهنا تجد كل علامات الاستفهام في الدنيا.. إزاي وليه وعلشان إيه.. وكيف يتحول شهر العسل إلى بصل؟؟ والإجابة لها شقان والله أعلم. الشق الأول قول مأثور يقول: «الحب أعمى» فأنت لا ترى عيوب حبيبك وأنت تنظر إليه بعيون المحب أيام الخطوبة والحب وقبل الارتباط الرسمي!

وبعدما تفيق من أحلامك وتنزل إلى واقع الأرض وقد كنت تحلق في السماء، ستكتشف عن طريق العشرة اليومية حقيقة من قدمت له قلبك وعقلك كمان، وتعلم متأخرًا أنه إنسان له عيوب وليس بالملاك الطاهر الذي كنت تتخيله وربما تكتشف وجهًا لم تتخيله يومًا ما! لكن هذا هو حال الدنيا التي نعيش فيها.

وهنا أنتقل إلى الجزء الآخر من موضوعنا ويمكن تلخيصه في بضع كلمات «ابحث عن أصله وفصله» وهذا أمر بالغ الأهمية فالأسرة لها دخل كبير في تشكيل أبنائها فإذا كنت صاحب الخلق فإن هذا يرجع إلى أصلك الطيب وأسرتك التي أحسنت تربيتك وربنا يرحم أهلك إذا كانوا يعيشون عند ربنا، ويعطيهم الصحة والعافية إذا كانوا معك على الأرض. ويا بختك يا عم فوجود الأب والأم على قيد الحياة نعمة على رؤوس الناس لا يراها إلا اليتامى، وربنا يرحم أعز الناس الذين رحلوا عن الدنيا الفانية، وصدق القرآن الكريم في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. وفيما بعد بإذن الله أتحدث معك عن أصله وفصله وسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام له قول مأثور في ذلك.

# عريس لقطة وأسرته سيئة

أفزعتني ظاهرة انتشار الطلاق بين العرسان الجدد.. شهر العسل تحول إلى بصل طيب ليه وعلشان إيه؟ قلت إن من أهم أسباب ذلك «أصله وفصله» يعني أن العريس قد يكون «لقطة» وزي الفل ظاهريًّا لكنه نشأ في أسرة أي كلام وبالطبع سيكون هذا الزواج على كف عفريت وأنت وحظك في هذا الارتباط!

وهذا الأمر يحتاج بالطبع إلى مزيد من الشرح.. ومن فضلك خليك معايا وافترض معي، واحد متدين وناضج في حياته ومعه فلوس كمان يعني ما فيش أحسن من كده لكن الكمال لله وحده حيث تجده نشأ في عائلة لها عيوب ظاهرة مثل البخل أو أناس ماديين أصحاب مصلحة وكل علاقاتهم محسوبة ولا يوجد شيء لوجه الله بل يرفعون شعار «شيلني وأشيلك» أو اشتهر رب الأسرة بسوء معاملته لامرأته والولد طالع لأبوه من حيث لا يدري فهو من أنصار سي السيد لكنه بعقلية مودرن وهكذا ينكشف العريس في هذا الاحتكاك المباشر والتعامل اليومي وتفاجأ شريكة العمر

بشخصيته الحقيقية.. فليس كل ما يلمع ذهبًا. صحيح أنه متدين لكنه يعامل عروسه بالعقلية الشرقية وعلى طريقة «بابا والده» وليس على الطريقة الإسلامية حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «خيركم.. خيركم لأهله».. ترى ما الحل لتلك المشكلة بعدما تأكدت عروسه أن عريسها اللقطة وهم كبير.

## مصيبة أن تقف امرأتك ضدك

أظنك لن تقبل كلامي إذا قلت لك إنني تذكرت الحكمة القائلة «وراء كل عظيم امرأة» وذلك في ذكرى رحيل «خديجة بنت خويلد» زوج النبي عليه الصلاة والسلام وقد يكون سبب اعتراضك أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت صلته وثيقة بالسماء التي أوحت إليه بالقرآن العظيم، فكيف يأتي واحد مثلي ويذكر الحكمة القائلة: «وراء كل عظيم امرأة» مع أن هذا الكلام ينطبق فقط على البشر العاديين! أما الأنبياء والمرسلون فلهم وضع آخر!

ومن فضلك قارن سيدتي خديجة بنساء أنبياء الله المرسلين نوح ولوط، فقد رفضن الإيمان برسالة أزواجهن! وتلك مصيبة أن تقف امرأتك ضدك! وتكون أول المعترضين عليك! وسيدنا نوح كانت بلوته مضاعفة إذ رفض ابنه الإيمان به كذلك! ومن حسن حظ نبينا الكريم أن زوجته لم تتردد في الإيمان به لحظة واحدة، فهي أول من أسلمت من بني آدم جميعًا، وقبل أي رجل وواسته بكلمات رقيقة طيبة عندما هرع إليها مضطربًا بعد نزول الوحي، ولذلك لا

أظنني أخطأت عندما قلت وراء كل عظيم امرأة، خاصة إذا علمت أن العديد من أهل نبينا الكريم كانوا في طليعة من حاربوه وعلى رأسهم عمه أبو لهب. وأذكر لك سببًا آخر لتأثير سيدتي خديجة على زوجها، فالمعروف أنه تزوج بعدها العديد من النساء، لكنه ظل على الدوام يذكر محاسنها وفضلها، فلم تكن أبدًا بالزوجة العادية في حياته أو واحدة مرت مرور الكرام عليه، بل كانت ركنًا أساسيًّا استند إليه في دعوته، وأطلق على السنة التي توفيت فيها عام الحزن، خاصة أن عمه أبا طالب الذي ناصره دون أن يسلم مات في ذلك العام أيضًا، وكانت رحلة الإسراء والمعراج محاولة لتخفيف الأحزان عن صاحب الرسالة الإسلامية.

## الحرام واحد!

قد تتعجب من عنواني وتتساءل: ما الذي تقصده من عنوانك؟

الحرام واحد بالطبع، وهل تتوقع أن يكون اثنين؟ أقول لك واقعنا يخالف تلك القاعدة البديهية في الحلال والحرام ويظهر ذلك خاصة في الصيف!

وأشرح وجهة نظري باختصار قائلا: إن الإجازات فرصة «للصياعة» للشباب الذين فشل أهلهم في تربيتهم، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين.. فمنهم من ينتمي إلى أسر طيبة، لكن يا خسارة انحرفوا نتيجة اختلاطهم بشلة سوء من أقرانهم!

وآخرون تجدهم قد نشأوا في بيوت خائبة لا تعرف إلا القليل عن الخلق والدين، فانحرافهم طبيعي، وإذا حدث عكس ذلك، فهذا فضل من الله الذي يهدي من يشاء من عباده!

وأدخل في صميم موضوعي قائلا: المفترض أن تكون نظرة المجتمع واحدة إلى الإثم الذي يرتكبه هؤلاء الشباب «الصايع» من الجنسين، لكن واقعنا يقول غير ذلك، فانحراف بنت حواء

أمر مستهجن بالطبع، ويعرف عنها أنها سيئة السمعة، وينظر لها مجتمعنا المحافظ باحتقار! ويكون من الصعب جدًّا أن تتزوج من رجل محترم إلا أن يكون إنسانًا «مدبًّا» بالتعبير العامي! يعني وقع في غرامها وفقد عقله!

والغريب أن تجد النظرة إلى الشاب المنحرف مختلفة، بل وقد تجد من يبرر أفعاله بأنه طيش الشباب أو أنه يعيش سن المرهقة وحضرته دون جوان عصره! ولن يجد أي صعوبة في الزواج من فتاة محترمة، تغفر له ماضيه المليء بالشقاوة!

وباختصار: المجتمع قد يتسامح مع الولد إذا ارتكب الإثم، أما الفتاة فهي إذا ارتكبت ذات الحرام «فوقعتها سودا».

## أنا رجعي!!

في السنوات الأخيرة انتشرت في المصايف والأندية حمامات خاصة بالنساء فقط، وممنوع دخول بني آدم فهي أماكن خاصة بسيدتي الجميلة أو حواء فقط! وثارت بعض الأقلام المتأثرة بحضارة الخواجات على هذا الوضع! ورأينا منهم اتهامات مثل العودة إلى عصر الحريم والرجعية وسي السيد بهذا الفعل النكد على حد تعبيرهم.

وأقول لهؤلاء المعارضين لتلك الظاهرة: أنا رجعي! رغم دفاعي عن حقوق المرأة حتى أنني اتهمت أحيانًا بالشطط في تدليلها!! والرجعية أراها في هذه الحالة وسامًا!! والكلمات الرنانة التي يطلقها أنصار الخواجات لن ترهبنا، بل أراها قد فقدت معناها من كثرة استخدامها ضد من يصر على أن تكون لبلادنا أوضاع مختلفة عن تلك التي تعرفها أوروبا وأمريكا!

وإذا سألتني عن أسباب انحيازي لمصايف النساء المغلقة قلت لك إن هذا الأمر يستند إلى عدة أمور أولها الحرية، فلماذا يريد

هؤلاء فرض رأيهم على المجتمع كله، أليس من حق من يطالب بالفصل بين الجنسين أن تكون له حريته هو الآخر؟

والأمر الثاني أن كثيرًا من بنات حواء تجد راحتها في الاستحمام بعيدًا عن عيون الرجال المتلصصة! فليس من حق أحد أن يقول لها: لا.. ممنوع!

وأخيرًا فإن هذا الفصل سيقضي على مناظر شاذة نراها في حياتنا مثل أن تنزل سيدتي الخجولة البحر في أوقات غير طبيعية بعد الفجر أو بعد العشاء!! أو ترى نساء بمياه البحر المتوسط بالجلاليب! في مناظر فاضحة تكشف المستور! بحجة أن المايوه حرام!!

## حب لا مثيل له بين الجنسين

وفاة السيدة خديجة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام كانت من الأسباب الأساسية لرحلة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلا، فقد أرادت المشيئة الإلهية التخفيف من أحزان نبينا الكريم، خاصة أن عمه أبا طالب الذي كان يناصره قد توفي في هذا الوقت أيضا.. وربنا يرحم الجميع..

وسيدتي خديجة نموذج رائع في الحب بين الجنسين وأراهن أنه لا يوجد لها مثيل خاصة في عصرنا الحديث!

وأشرح ما أعنيه قائلًا: إن هذه السيدة العظيمة كانت قبل زواجها مليونيرة وصاحبة تجارة واسعة، لكنها تخلت عن هذا كله من أجل الحبيب، وكرست حياتها ـ حتى توفيت ـ لخدمته ورعايته وتربية أولادها..

وقد تضاعفت مسئولياتها بعد نزول الوحي على رسولنا الكريم وكانت أول من آمنت به على الإطلاق وهذا شرف لبنات حواء يفتخرن به إلى يوم القيامة.

وإذا سألتني حضرتك:

وما هو الجديد في هذا كله؟ واحدة تركت تجارتها وتفرغت لبيتها! فلماذا يكون ما فعلته حبًّا لا مثيل له بين الجنسين؟ وأرد عليك قائلًا: كل إنسان يرفع في عصرنا النكد شعار «أنا.. أولًا»! ولن نجد أبدًا تلك المليونيرة التي تضحي بالبزنس الذي تقوم به من أجل حبيبها؟! وبنات الجيل الجديد، خاصة، نجد الواحدة منهن تريد إثبات وجودها وشخصيتها وترفض أن يسحقها الحب ويذوب كيانها وتصبح مع حبيبها شخصًا واحدًا في النهاية أو وجهين لعملة واحدة فنجاحه وتفوّقه يعني أنها هي التي نجحت وتفوقت! وأسألك: هل يوجد في الدنيا مثل هذا الغرام والهيام؟! وإذا لم تجد فاعلم أن عنوان هذا المقال دقيق: «حب لا مثيل له بين الجنسين» وقوام ذلك عاطفة راقية لا تجدها إلا نادرًا.

## هل توافق على الإجازة الزوجية؟

بمناسبة موسم الإجـازات، ظهر في عصرنا النكد ما يسمى بالإجازة الزوجية، ويعني أخذ عطلة بين الزوجين! وأراهن أن الدهشة طرأت على وجهك من هذا التفكير، وأنت تتساءل «طيب إزاي.. وليه.. وعشان إيه».. والإجابة: إن كلًا منهما يبتعد عن الآخر بغرض تجديد العلاقة بينهما كما يزعمون، يعني الزوج يسافر لقضاء عطلته بعيدًا عن امرأته لأنه عايز يستريح! وهي تأخذ أولادها ويذهبون جميعًا إلى المصيف، أما شريك العمر فهو يا عيني جالس وحده بعيدًا عن أقرب الناس إليه!

وقد يبتسم البعض ساخرًا من كلامي الأخير معترضًا على كلمتي «يا عيني» التي تعني الإشفاق قائلًا: العكس هو الصحيح تمامًا يا عمنا!! من قال لك إنه زعلان وحزين! بل قد تراه سعيدًا وفرحان لكي يسترد حريته، وينطلق مع أصدقائه، وتعود السهرات الحرة والليالي الملاح بعيدًا عن قيود الزوجية وعبء الأولاد!

وأسأل عن رأيكم في هذا الموضوع! «وخلي بالكم» إجاباتكم ستكشف عن حقيقة علاقة كل منكم مع شريك العمر!!

وأشرح ما أعنيه قائلا: إذا كانت الإجازة الزوجية ضرورية بالفعل فأنا عندي شك في حقيقة علاقتك بشريك العمر! وأسألك: إزاي عايز تستغني عن نصفك الآخر وتبتعد عنها لتستريح من وجع الدماغ، أنت كده يا حضرة كشفت نفسك وأكدت أن العلاقة بينكما أي كلام! يعني على كف عفريت. وكان الله في عونك!

وهناك من يقول: أنا لا أستطيع الاستغناء عن شريك العمر وأتحمل متاعب الحياة الزوجية، فهذه ضريبة لا بد من دفعها.. و «مش معقول» تبقى كل حياتي سمن على عسل! فأنا لا أعيش في الجنة! بل مكاني على الأرض والمهم أن مركب حياتنا الزوجية تبحر رغم ما يقابلها أحيانا من أمواج عاتية! هذا الرأي المحترم قوامه الحب ويستحق تعظيم سلام! وهو عكس صاحبنا الأول على طول الخط.

# سيّدتي الجميلة

إذا تحدثت عن العلاقة بين الرجل والمرأة من وجهة نظر ديننا نجد أن الحب الإسلامي أرقى أنواع الغرام، ومختلف تمامًا عن العلاقات الغرامية التي نراها هذه الأيام بين آدم وحواء!

وكثيرًا ما نسمع في حياتنا هذه العبارة: «لا أستطيع أن أعيش بدون حب»! وهي عبارة تطلقها بعض النسوة بهدف إشباع شهواتهن، ويا أيها الحب كم من الجرائم ترتكب باسمك! والعاطفة النبيلة تحولت إلى كلمة ممسوخة أو أداة للانحلال والإفساد الأخلاقي... وترى الواحدة من هؤلاء تدخل في علاقات غرامية متعددة باسم الحب.. يعني قلبها مثل لوكاندة رخيصة يكثر فيها الداخلون والخارجون!

وقلب سيدتي الجميلة بالمفهوم الإسلامي مختلف.. إنه
أو على الأقل «فندق سوبر ستار» لا يمكن أن يدخله إنس
بل لا بد من مواصفات معينة في الذاهب إلى هناك.

محمد








دار الشروق
www.shorouk.com